٩١
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر تتمّة خبر قتيبة مع نِيْزَك

قد ذكرنا مسير قُتَيْبَة إلى نِيزك وما جرى له بالطّالقان وقتْل مَنْ قتل بها، فلمّا فتح الطالقان استعمل أخاه عمر بن مسلم. وقيل: إنّ ملكها لم يحارب قتيبةَ، فكفَّ عنه، وكان بها لصوص، فقتلهم قتيبة وصلبهم، ثمّ سار قتيبة إلى الفارِياب[1] فخرج إليه ملكها مُقِرّاً مذعناً، فقبل منه ولم يقتل بها أحداً، واستعمل عليها رجلاً من أهله[2].

وبلغ ملكَ الجُوزجان خبرُهم فهرب إلى الجبال، وسار قتيبة إلى الجُوزجان، فلقِيَه أهلها سامعين مطيعين، فقبل منهم ولم يقتل بها أحداً، واستعمل عليها عامر بن مالك الحِمّانيَّ.

ثم أتى بلْخَ، فلقِيه أهلها، فلم يُقِم بها إلاّ يوماً واحداً، وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعبِ خُلْم، ومضى نِيزك إلى بَغْلان[3]، وخلّف مقاتلة على فم الشّعب وَمضايقه ليمنعوه، ووضع مقاتلته في قلعةٍ حصينة من وراء الشّعب. فأقام قتيبة أيّاماً يقاتلهم على مضيق الشّعب لا يقدر على دخوله، ولا يعرف طريقاً يسلكه إلى نيزك إلاّ الشّعب أو مفازة لا تحتملها العساكر، فبقي متحيّراً، فقدِم إنسان، فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل القلعة الّتي مِن وراء الشّعب، فآمنه قتيبة، وبعث معه رجالاً، فانتهى بهم إلى القلعة من وراء شِعب خُلْم، فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم، وهرب مَنْ بقي منهم ومَنْ كان في الشّعب، فدخل قتيبة الشّعبَ فأتى القلعة، ومضى إلى سِمِنْجان فأقام بها أيّاماً، ثمّ سار إلى نِيزك، وقدّم أخاه عبد الرحمن.

فارتحل نيزك من منزله فقطع وادي فرغانة، ووجّه ثَقَله وأمواله إلى كابُل شاه،

---

(١) الفارياب: بكسر الراء ثم ياء مثنّاة من تحت. مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربي جيحون. (معجم البلدان ٤/٢٢٩).

(٢) في الأصول «باهلة».

(٣) بَغْلاق: بفتح أوله وسكون ثانيه، بلدة بنواحي بلخ. قال ياقوت: وظنّي أنها من طخارستان، وهي العليا والسفلى، وهما من أنزه بلاد الله على ما قيل لكثرة الأنهار والأشجار. (معجم البلدان ١/٤٦٨).

ومضى حتّى نزل الكُرزَ (وعبد الرحمن يتبعه، فنزل عبد الرحمن حذاء الكُرز)[1]، ونزل قتيبة بمنزلٍ بينه وبين عبد الرحمن فرسخان، فتحصّن نيزك في الكُرز وليس إليه مسلك إلاّ من وجهٍ واحد، وهو صعب[2] لا تطيقه الدوابّ، فحصره قتيبة شهرَين حتى قلّ ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجُدَري، وجدر جَبْغويه.

وخاف قتيبة الشتاء، فدعا سُلَيْماً الناصح فقال: انطلقْ إلى نيزك واحتلْ لتأتيني به بغير أمان، فإن احتال وأبَى فآمنه، واعلم أنّي إن عاينتُك وليس هو معك صلبتُك. قال: فاكتبْ إلى عبد الرحمن لا يخالفني، فكتب إليه، فقدِم عليه، فقال له: ابعثْ رجالاً ليكونوا على فم الشّعب، فإذا خرجتُ أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشّعب. فبعث عبد الرحمن خيلاً، فكانت هناك، وحمل سُلَيم معه أطعمة وأخبصة أوقاراً، وأتَى نيزك فقال له: إنّك أسأت إلى قتيبة وغدرت. قال نيزك: فما الرأي؟ قال: أرى أن تأتِيه فإنّه ليس ببارح، وقد عزم على أن يشتو مكانه هلكَ أو سلم. قال نيزك: فكيف آتيه على غير أمان؟ قال: ما أظنّه يؤمنك لما في نفسه عليك لأنّك قد ملأته غيظاً، ولكنّي أرى أن لا يعلم [بكَ] حتّى تضع يدك في يده، فإنّي أرجو أن يستحي ويعفو [عنك]، قال: إنّي أرى نفسي تأبَى هذا وهو إن رآني قتلني. فقال سُليم: ما أتيتُك إلاّ لأشير عليك بهذا، ولو فعلتَ لرجوتُ أن تسلم وتعود حالك عنده، فإذا أبيتَ فإنّي منصرف.

وقدّم سُليمٌ الطعام الذي معه، ولا عهد لهم بمثله، فانتهبه أصحابُ نيزك، فساءه ذلك، فقال له سُليم: إنّي لك من الناصحين، أرى أصحابك قد جَهِدوا، وإن طال بهم الحصار لم آمنهم أن يستأمنوا بك، فأتِ قتيبة. فقال: لا آمنه على نفسي ولا آتيه إلاّ بأمان، وإنّ ظنّي أن يقتلني وإن آمنني، ولكنّ الأمان أعذر إليّ. فقال سُليم: قد آمنك، أفتتّهمني؟ قال: لا. وقال له أصحابه: اقبلْ قول سُليم فلا يقول إلاّ حقّاً.

فخرج معه ومع جبغويه وصُول طَرْخان، خليفة جبغويه، وحبس طرخان صاحب شُرطته وشقران ابن أخي نيزك، فلمّا خرجوا من الشِّعب عطفت الخيل التي خلّفها سُليم، فحالوا بين الأتراك أصحاب نيزك والخروج، فقال نيزك: هذا أوّل الغدر. قال سُليم: تخلُّفُ هؤلاء عنك خير لك. وأقبل سُليم ونيزك ومَنْ معه حتّى دخلوا إلى قتيبة، فحبسهم وكتب إلى الحجّاج يستأذنه في قتل نيزك. ووجّه[3] قُتَيْبَةُ [معاويةَ بن عامر بن عَلْقمة

---

(١) ما بين القوسين من (ر).

(٢) في الأوروبية: «مصعب».

(٣) في الأوربية: واستخرج.

العُلَيْمِيَّ، فاستخرج] ما كان في الكُرز من متاع ومن كان فيه فقُدِم به على قتيبة. فانتظر بهم كتاب الحجّاج، فأتاه كتاب الحجّاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك، فدعا قتيبة الناسَ واستشارهم في قتله، واختلفوا، فقال ضِرار بن حُصَين: إنّي سمعتُك تقول: أعطيتُ الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله، فإن لم تفعلْ فلا ينصرك الله عليه أبداً.

فدعا نيزكَ فضرب رقبته بيده، وأمر بقتل صُول، وابن أخي نيزك، وقتل من أصحابه سبعمائة، وقيل: اثني عشر ألفاً، وصلب نيزك وابن أخيه، وبعث برأسه إلى الحجّاج.

وقال نهار بن تَوْسِعة في قتل نيزك:

لَعَمْري لَنِعْمَتْ[1] غَزْوَةُ الجُنْدِ غَزْوَةً ... قضَت نحبَها من نِيزكٍ وتعَلّتِ[2]

وأخذ الزُّبَيْر مولى عبّاس الباهليّ حُقّاً[3] لنيزك فيه جوهر، وكان أكثر من في بلاده مالاً وعقاراً من ذلك الجوهر، وأطلق قتيبة جبغويه ومَنَّ عليه وبعث به إلى الوليد، فلم يزل بالشام حتّى مات الوليد.

كان الناس يقولون: غدر قتيبة بنيزك، فقال بعضهم[4]:

فلا تحسبَنّ الغدرَ حزْماً[5] فربّما ... ترَقّت بهِ[6] الأقدامُ يَوْماً فزلّتِ

فلّما قتل قتيبةُ نيزكَ رجع إلى مرو، وأرسل ملكُ الجُوزجان يطلب الأمان، فآمنه على أن يأتيه، فطلب رُهُناً ويعطي رهائن، فأعطاه قتيبةُ حَبيبَ بن عبد الله بن حبيب الباهليَّ، وأعطى ملكُ الجوزجان رهائن من أهل بيته، وقدِم على قتيبة [فصالحه]، ثمّ رجع فمات بالطالَقان، فقال أهل الجُوزجان: إنّهم سمّوه، فقتلوا حبيباً، وقتل قُتيبةُ الرهائنَ الذين كانوا عنده[7].

ذكر غزو شُومان وكِشْ ونَسَف

وفي هذه السنة سار قتيبة إلى شُومان فحصرها.

---

(١) في الأوربية: أنعمت.

(٢) في الأوربية: وتصلت.

(٣) في الطبري ٦/٤٥٩ «فأخذ الزبير مولى عابس الباهليّ خُفّاً».

(٤) هو: ثابت بن قطنة، كما عند الطبري.

(٥) في الأوربية: حرماً.

(٦) في الأوربية: بك.

(٧) الطبري ٦/٤٥٤ - ٤٦١، نهاية الأرب ٢١/٢٨٩ - ٢٩٣، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٥١، ٢٥٢ البداية والنهاية ٩/٨١، ٨٢، الفتوح لابن أعثم ٧/٢٢٥ - ٢٣١.

وكان سبب ذلك أنّ ملكها طرد عامل قتيبة من عنده، فأرسل إليه قتيبة رسولَين، أحدهما من العرب اسمه عَيّاش، والآخر من أهل خُراسان، يدعوان ملك شُومان أن يؤدّي ما كان صالَحَ عليه. فقدِما شومان، فخرج أهلها إليهما فرموهما، فانصرف الخراسانيُّ، وقاتلهم عَيّاش فقتلوه، ووجدوا به ستّين جراحة.

وبلغ قتلُه قتيبةَ فسار إليهم بنفسه، فلمّا أتاها أرسل صالحُ بن مسلم أخو[1] قتيبة [رجلاً] إلى ملكها، وكان صديقاً له، يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح. فأبَى وقال لرسول صالح: أتخوّفني من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصناً؟ فأتاه قتيبة وقد تحصّن ببلده فوضع عليه المجانيق، ورمى الحصن فهشمه، وقتل رجلاً في مجلس الملك بحجر، فلمّا خاف أن يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يُدْرَك قعرها، ثمّ فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم حتّى قُتل، وأخذ قتيبة القلعة عَنوةً، فقتل المقاتلة وسبىَ الذرّية.

ثمّ سار إلى كِشّ ونَسَف ففتحهما. وامتنعت عليه فارِياب فأحرقها، فسُمّيت المحترقة، وسيّر من كشّ ونَسَف أخاه عبد الرحمن إلى الصُّغد، ومَلِكُها طرخون، فقبض عبدُ الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة، ودفع إليه رُهُناً كانوا معه، ورجع إلى قتيبة ببخارى، وكان قد سار إليها من كشّ ونَسَف، فرجعوا إلى مَرْو. ولما كان قتيبة ببخارى ملَّك بخار اخُذاه[2]، وكان غلاماً حدثاً، وقتل من يخاف أن يُضادّه.

وقيل: إنّ قتيبة سار بنفسه إلى الصُّغد، فلمّا رجع عنهم قالت الصُّغْد لطرخون: إنّك قد رضيت بالذلّ، واستطبتَ الجزيةَ، وأنت شيخ كبير، فلا حاجة لنا فيك، فحبسوه وولّوا غوْزَك، فقتل طرخون نفسه[3].

ذكر عدّة حوادث

قيل: في هذه السنة استعمل الوليدُ خالدَ بن عبد الله القَسْريَّ على مكّة، فلم يزال والياً عليها حتّى مات الوليد، وكان قد تقدّم سنة تسع وثمانين ذِكره أيضاً، فلمّا وليَ مكّة خطبهم وعظّم أمرَ الخلافة وحثّهم على الطّاعة، فقال: لو أنّي أعلم أنّ هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقتْ لم تقرّ بالطاعة لأخرجتُها منه، فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة،

---

(١) في الأوربية: أخا.

(٢) في تاريخ بخارى ٧٣ «بخار خداة».

(٣) الطبري ٦/٤٦١ - ٤٦٤، نهاية الأرب ٢١/٢٩٤، الأخبار الطوال ٣٢٨، فتوح البلدان ٥١٧، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٥٢، ٢٥٣، البداية والنهاية ٩/٨٣، ٨٤.

فإنّي والله لا أُوتَى بأحد يطعن على إمامه إلاّ صلبتُه في الحرم، إنّي[1] لا أرى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلاّ إمضاءه. واشتدّ عليهم[2].

وحجّ بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك[3]، فلمّا دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه، وأُخرج الناس منه، ولم يبقَ غير سعيد بن المسيّب لم يجرؤ أحد من الحرس أن يُخْرجه، فقيل له: لو قمتَ. قال: لا أقوم حتّى يأتي الوقت الذي كنتُ أقومُ فيه. فقيل: لو سلّمت على أمير المؤمنين. قال: والله لا أقوم إليه. قال عمر بن عبد العزيز: فجعلتُ أعدل بالوليد في ناحية المسجد لئلاّ يراه، فالتفت الوليدُ [إلى] القِبلة فقال: مَنْ ذلك الشيخ؟ أهو سعيد؟ قال عمر: نعم، ومِنْ حاله كذا وكذا، فلو علم بمكانك لقام فسلّم عليك، وهو ضعيف البصر. قال الوليد: قد علمتُ حاله ونحن نأتيه. فدار في المسجد حتّى أتاه فقال: كيف أنتَ أيّها الشيخ؟ فوالله ما تحرّك سعيد بل قال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ فانصرف وهو يقول لعمر: هذا بقيّة النّاس!

وقسّم بالمدينة دقيقاً كثيراً وآنيةً من ذهب وفضّة وأموالاً، وصلّى بالمدينة الجمعة فخطب الخطبة الأولى جالساً، ثمّ قام فخطب الخطبة الثانية قائماً. قال إسحاق بن يحيَى: فقلتُ لرجاء بن حَيْوة وهو معه: أهكذا تصنعون؟ قال: نعم، مكرّراً، وهكذا صنع معاوية وهَلُمّ جرّاً. قال فقلتُ له: هلاّ تكلّمه؟ قال: أخبرني قَبيصة بن ذؤيب أنّه كلّم عبد الملك ولم يترك القعود، وقال: هكذا خطب عثمان. قال فقلت: والله ما خطب إلاّ قائماً. قال رجاء: روي لهم شيء فاقتدوا به. قال إسحاق: ولم نرَ منهم أشدّ تجبّراً منه[4].

وكان العُمّال على البلاد مَنْ تقدّم ذكرهم غير مكّة، فإنّ خالداً كان عاملها، وقيل: إنّ عاملها هذه السنة كان عمر بن عبد العزيز بن مروان[5].

---

(١) في الأوربية: «إنه».

(٢) الطبري ٦/٤٦٤، ٤٦٥، وفي تاريخ خليفة ٣١٠ أن خالداً تولّى مكة سنة تسع وثمانين فلم يزل والياً حتى مات الوليد، وكذا تقدّم في تاريخ الطبري ٦/٤٤٠ (حوادث سنة ٨٩ هـ)، وتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ) ص ٣٥، وعلى هذا يكون قد وليها مرتين كما في: شفاء الغرام ٢/٢٧٠.

(٣) تاريخ خليفة ٣٠٣، المحبّر ٢٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩١، الطبري ٦/٤٦٥، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٧، نهاسة الأرب ٢١/٣١٩، البداية والنهاية ٩/٨٢، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٥٣، العيون والحدائق ٣/٧، شفاء الغرام ٢/٣٤٠.

(٤) الطبري ٦/٤٦٥ ـ ٤٦٧، نهاية الأرب ٢١/٣١٩، ٣٢٠، البداية والنهاية ٩/٨٢.

(٥) الطبري ٦/٤٦٧.

وفي هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة، وكان على ذلك الجيش مَسْلمة بن عبد الملك[1].

وفيها عزل الوليد عمّه محمّد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية، واستعمل عليها أخاه مَسْلمة بن عبد الملك، فغزا مَسلمة التُرك من ناحية أذْرَبَيْجان حتّى بلغ الباب[2]، وفتح مدائن وحصوناً، ونصب عليها المجانيق[3].

(١) الطبري ٦/٤٥٤، نهاية الأرب ٢١/٣١٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٢ وفي بياض.

(٢) الباب: باب الأبواب: هو الدَّرْبَنْد دَرْبَنْد شروان. مدينة ربّما أصاب ماء البحر حائطها وفي وسطها مرسى السفن، وهي على بحر طبرستان، وهو بحر الخَزَر. وهي أحد الثغور الجليلة العظيمة لأنها كثيرة الأعداء الذين حفّوا بها من أمم شتّى وألسنة مختلفة وعدد كثير، وإلى جانبها جبل عظيم يُعرف بالذئب، فيجمع في رأسه في كل عام حطب كثير ليُشعلوا فيه النار إن احتاجوا إليه، ينذرون أهل أذربَيجان، وأرّان، وأرمينية بالعدوّ إن دَهَمَهم. (معجم البلدان ٢/٢٠٣).

(٣) تاريخ خليفة ٣٠٣، الطبري ٦/٤٥٤، نهاية الأرب ٢١/٣١٢، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠) ص ٢٥٢.

٩٢
ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

في هذه السنة غزا مَسْلمة بن عبد الملك أرضَ الروم، ففتح حصوناً ثلاثة، وجلا أهلُ سُوسَنة إلى بلاد الروم[١].

ذكر فتح الأندلس

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نُصَير الأندلس في اثني عشر ألفاً، فلقي ملكَ الأندلس، واسمه اذرينوق[٢]، وكان من أهل أصبهان، وهم ملوك عجم الأندلس، فزحف له طارق بجميع مَنْ معه، وزحف الأذرينوق[٢] وعليه تاجه وجميع الحلية الّتي كان يلبسها الملوك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الأذرينوق[٢]، وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين.

هذا جميعه ذكره أبو جعفر في فتح الأندلس[٣]، وبمثل ذلك الإقليم العظيم والفتح المُبين لا يُقتصر فيه على هذا القدر، وأنا أذكر فتحها على وجهٍ أتمّ من هذا إن شاء الله تعالى، من تصانيف أهلها، إذ هم أعلم ببلادهم.

قالوا: أوّل من سكنها قوم يُعْرَفون بالأندلش، بشين معجمة، فسُمّي البلد بهم، ثمّ عُرّب بعد ذلك بسين مهملة، والنصارى يسمّون الأندلس: اشبانية، باسم رجل صُلب فيها يقال له: اشبانس، وقيل: باسم ملكٍ كان بها في الزمان الأوّل اسمه إشبان بن طيطس[٤]، وهذا هو اسمها عند بطليموس. وقيل: سُميّت بأندلس بن يافث بن نوح، وهو أوّل مَنْ عمرها.

قيل: أوّل مَنْ سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يُعْرَفون بالأندلس، فعمروها وتداولوا ملكها دهراً طويلاً، وكانوا مجوساً، ثمّ حبس الله عنهم المطر، وتوالى عليهم القحط،

---

(١) الطبري ٤٦٨/٦، تاريخ العظيمي ١٩٧ وفيه: «سوسيه»، نهاية الأرب ٣١٢/٢١، البداية والنهاية ٨٣/٩.

(٢) (ب): «أذر سوق»، والطبري: «الأدرينوق»، وفي تاريخ الإسلام (٦١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٥٥ «لُذَرِيق».

(٣) الطبري ٤٦٨/٦.

(٤) في نهاية الأرب ٤١/٢٤ «طيطش».

فهلك أكثرهم، وفرّ منها مَنْ أطاق الفرار، فخلتِ الأندلس مائة سنة، ثمّ ابتعث الله لعمارتها الأفارقة، فدخل إليها قوم منهم أجلاهم ملك إفريقية تخفّفاً منهم لحقطٍ توالى على بلاده حتّى كاد يُفْني أهلها[1]، فحملهم في السفن مع أميرٍ من عنده فأرسوا بجزيرة قادس، ورأوا الأندلس قد أخصبت بلادها وجرت أنهارها، فسكنوها وعمروها، ونصبوا لهم ملوكاً يضبطون أمرهم، وهم على دين مَنْ قبلهم، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من أرض إشبيلية بنوها وسكنوها، وأقاموا مدّة تزيد على مائة وخمسين سنة، ملك منهم فيها أحد عشر ملكاً.

ثمّ أرسل الله عليهم عجم رومة، وملكهم إشبان بن طيطس، فغزاهم ومزّقهم وقتل فيهم، وحاصرهم بطالقة وقد تحصّنوا فيها، فابتنى عليهم إشبانيّة، وهي إشبيلية، واتّخذها دار مملكته، وكثُرت جموعُه وعتا وتجبّر، وغزا بيت المقدس فغنم ما فيه وقتل فيه مائة ألف، ونقل المرمر منه إلى إشبيلية وغيرها، وغنم أيضاً مائدة سليمان بن داود، عليه السلام، وهي الّتي غنِمها طارق من طُليطلة لما افتتحها، وغنم أيضاً قُلَيْلة الذّهب والحجر الذي لُقي بماردة.

وكان هذا إشبان قد وقف عليه الخضِر وهو يحرث الأرض فقال له: يا إشبان سوف تحظى وتملك وتعلو، فإذا ملكت إيلياء فارفق بذرّيّة الأنبياء. فقال: أتسخر منّي؟[2] كيف ينال مثلي الملك؟ فقال: قد جعله فيك مَنْ جعل عصاك هذه كما ترى. فنظر إليها فإذا هي قد أورقتْ، فارتاع وذهب عنه الخضر، وقد وثق إشبان بقوله، فداخل الناس، فارتقى حتّى ملك مُلْكاً عظيماً، وكان ملكه عشرين سنة، ودام ملك الإشبانيّين بعده إلى أن ملك منهم خمسة وخمسون ملكاً.

ثمّ دخل عليهم من عجم رومة أمّة يُدْعون البشنوليات[3]، وملكهم طويش[4] بن نيطه[5]، وذلك حين بعث الله المسيح، فغلبوا عليها واستولوا على ملكها، وكانت مدينة ماردة دار مملكتهم، وملك منهم سبعة وعشرون ملكاً.

ثمّ دخلت عليهم أمّة القوط مع ملك لهم، فغلبوا على الأندلس فاقتطعوها من يومئذٍ

---

(١) في الأوروبية: «أهله».

(٢) في (ب): «اتخرفني».

(٣) في (ب): «البشمومات»، وفي نسخة بودليان «البشنومات»، وفي نهاية الأرب ٤٣/٢٤ «البشتولقات»، وفي نفح الطيب ٨٩/١ «البشتومات».

(٤) في (آ): «طليويش»، و(ر): «طلبوش»، ونسخة بودليان «طاويش»، وفي نفح الطيب «طاويش»، وفي نهاية الأرب «طلوبش».

(٥) في نهاية الأرب «بيطة».

عن صاحب رومة، وكان ابتداء ظهورهم من ناحية إيطالية[١] شرق الأندلس، فأغارت على بلاد مجدُونية من تلك الناحية، وذلك في أيّام قليوذيوس[٢] قيصر، ثالث القياصرة، فخرج إليهم وهزمهم وقتل فيهم، ولم يظهروا بعدها إلى أيّام قسطنطين الأكبر وأعادوا الغارة، فسيّر إليهم جيشاً فلم يثبتوا له، وانقطع خبرهم إلى ثلث[٣] دولة قيصر، فإنّهم قدّموا على أنفسهم أميراً اسمه لُذريق، وكان يعبد الأوثان، فسار إلى رومة ليحمل النصارى على السجود لأوثانه، فظهر منه سوء سيرته، فتخاذل أصحابه عنه، ومالوا إلى أخيه وحاربوه، فاستعان بصاحب رومة فبعث إليه جيشاً، فهزم أخاه، ودان[٤] بدين النصارى، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة، ثمّ وليَ بعده اقريط[٥]، وبعده املريق[٦]، وبعده وغديش[٧]، وكانوا قد عادوا إلى عبادة الأوثان، فجمع من أصحابه مائة ألف وسار إلى رومة، فسيّر إليه ملك الروم جيشاً، فهزموه وقتلوه.

ثمّ بعده الريق[٨]، وكان زنديقاً شجاعاً، فسار ليأخذ بثأر وغديش ومَنْ قُتل معه، ونازل رومية وحاصرها وضيّق على أهلها، ودخلها عَنوةً وغنِم أموالهم، ثمّ جمع أسطول البحر وسار إلى صقلّية ليفتحها ويغنم ما فيها، فغرق أكثر أصحابه في البحر، وهو فيمَن غرق.

ثمّ ملك بعده اطلوف ستّ سنين، وخرج عن بلد إيطالية، وأقام ببلد غاليس مجاوراً أقصى الأندلس، ثمّ انتقل منها إلى برشلونة.

ثمّ بعده أخوه ثلاث سنين، ثمّ بعده واليا[٩]، ثمّ بوردزاريش[١٠] ثلاثاً وثلاثين سنة، ثمّ ابنه طرشمند، ثمّ بعده أخوه لُذَرِيق ثلاث عشرة سنة، ثمّ بعده أوريق سبع عشرة سنة، ثمّ بعده الريق بُطلوشةَ ثلاثاً وعشرين سنة، ثمّ عشليق، ثمّ أمليق سنتين، ثمّ توذيوش[١١]

---

(١) في (ب): «انطاقية»، و(آ): «أنطاكية» وكذا في نهاية الأرب ٢٤/٤٣.

(٢) في نهاية الأرب «قليوديوس».

(٣) في (ب): «بليت»، وفي نهاية الأرب: وانقطع خبرهم إلى دولة ثالث مالك بعد قسطنطين».

(٤) في الأوربية: «وكان».

(٥) في (آ) و(ر): «اقليط».

(٦) كذا في (ب) و(آ) و(ر) وطبعة صادر ٤/٥٥٨، وفي نسخة بودليان، ونهاية الأرب ٢٤/٤٤ «امريق».

(٧) في (ب): «غدكيش».

(٨) في (ب): «الريلق».

(٩) في (ب): «فاليا»، وهو صحيح.

(١٠) في (آ) «يوردارس»، و(ر): «يورداد ليس»، ونسخة بودليان: «لورداريش».

(١١) في (آ): «يوذ بوس»، و(ر): «يوذنوس»، و(ب): «يوذنوش»، ونسخة بودليان: «يودنوس».

سبع عشرة سنة وخمسة أشهر، ثمّ بعده طودتقليس[1] سنة وثلاثة أشهر، ثمّ بعده اثلة[2] خمس سنين، ثمّ بعده اطلنجه[3] خمس عشرة سنة، ثمّ بعده ليوبا[4] ثلاث سنين. ثمّ بعده أخوه لويلد[5]، وهو أوّل مَنْ اتخذ طليطلة دار ملك، ونزلها ليكون متوسّطاً لملكه ليحارب مَنْ خرج عن طاعته عن قريب، فلم يزل يحارب مَن خرج عن طاعته حتّى احتوى على جميع الأندلس، وبنى مدينة رقَوْبل وأتقنها وأكثر بساتينها، وهو على القرب من طليطلة، وسمّاها باسم ولده، وغزا بلاد البشقنس حتّى أذلّهم، وخطب إلى ملك الفرنج ابنته لولده ارمنجلد، فزوّجه وأسكنه إشبيلية، فحسنّت له عصيان والده، ففعل، فسار إليه أبوه وحصرهما وضيّق عليه، وطال مُقامه إلى أن أخذه عَنوةً، وسجنه إلى أن مات.

ثمّ ملك بعد لويلد[6] ابنه ركرد[7]، وكان حَسَن السيرة، فجمع الأساقفة وغيّر سيرة أبيه وسلّم البلاد إليهم، وكانوا نحو ثمانين أسقفًا، وكان تقيّاً عفيفاً قد لبس ثياب الرهبان، وهو الذي بنى الكنيسة المعروفة بالوزقة[8] بإزاء مدينة وادي آش. ثمّ بعده ابنه ليوبا فسار كسيرة أبيه، فاغتاله رجل من القوط يقال له تبريق[9] فقتله، وملك بعده بتريق[10] هذا بغير رِضا أهل الأندلس، وكان مجرماً طاغياً فاسقاً، فثار عليه رجل من خاصّته فقتله.

(ثمّ ملك من بعده غندمار[11] سَنتَين)[12]، ثمّ ملك بعده سيسيفوط[13]، وكانت ولايته تسع سنين، وكان حسن السيرة، ثمّ بعده ابنه ركريد، وكان صغيراً عمره ثلاثة أشهر، ومات. ثمّ ملك شنتله، وكان ملكه عند البعث، وكان مشكوراً، ثمّ بعده سِشنند[14] خمس سنين، ثمّ بعده خنتلة[15] ستّة أعوام، ثمّ بعده (خندس أربعة أعوام، ثمّ

---

(١) في (ر): «حلوز نفليس»، و (آ) «حلوز نقليسه»، ونسخة بودليان و (ب): «طورنقليس».
(٢) في نسخة بودليان: «واثلة».
(٣) في (آ) ونسخة بودليان «اطاغد».
(٤) في (آ) ونسخة بودليان: «ليويا» و (ب): لبوبا، و «لبويا».
(٥) في (آ) ونسخة بودليان: «لوبيد»، و (ر): «نوبيد»، و (ب): «كوبيد».
(٦) في الأصول: «لوبيد».
(٧) في (ب) و (ر): «ركديه»، و (آ): «ركدبقه»، ونسخة بودليان: «ركويه».
(٨) في (ب): «بالمورقة».
(٩) في (آ): «ببرين»، و (ر): «بريق»، ونسخة بودليان: «بيريق».
(١٠) في (آ): «ببريق»، و (ر): «بريق».
(١١) في (آ) و (ب): «غندمال».
(١٢) ما بين القوسين من نسخة بودليان.
(١٣) في (آ) ونسخة بودليان: «ششفوط»، و (ب)، و «سسنيفوط».
(١٤) و (ب) و (آ): «سننشد»، ونسخة بودليان «شنشد».
(١٥) هكذا في الأصول.

بعده بنبان ثمانية أعوام، ثمّ بعده) [1] أروى سبع سنين.

وكان في دولته قحط شديد حتّى كادت بلاد الأندلس تخرب لشدّة الجوع.

ثمّ بعده ابقه خمس عشرة سنة، وكان جائراً مذموماً، ثمّ ملك بعده ابنه غيطشة، وكانت ولايته سنة سبْع وسبعين للهجرة، وكان حسن السيرة ليّن العريكة، وأطلق كلّ محبوسٍ كان في سجن أبيه، وأدّى الأموال إلى أربابها.

ثم توفّي وخلف ولدَين، فلم يرضَ بهما أهل الأندلس، وتراضوا برجلٍ يقال له رُذَرِيق، وكان شجاعاً وليس من بيت الملك، وكانت عادة ملوك الأندلس إنّهم يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى مدينة طليطلة يكونون في خدمة الملك، لا يخدمه غيرهم يتأدّبون بذلك، فإذا بلغوا الحلم أنكح بعضهم بعضاً وتولّى تجهيزهم، فلمّا وليَ رُذَرِيق أرسل إليه يوليان [2]، وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبتة وغيرهما، ابنةً له، فاستحسنها رُذَرِيق وافتضّها، فكتبت إلى أبيها، فأغضبه ذلك، فكتب إلى موسى بن نُصَير عامل الوليد بن عبد الملك على إفريقية بالطاعة واستدعاه إليه، فسار إليه، فأدخله يوليان مدائنه، وأخذ عليه العهود له ولأصحابه بما يرضى به. ثمّ وصف له الأندلس ودعاه إليها، وذلك آخر سنة تسعين.

فكتب موسى إلى الوليد بما فتح الله عليه وما دعاه إليه يوليان. فكتب إليه الوليدُ: خُضْها بالسرايا، ولا تغرّرْ بالمسلمين في بحر شديد الأهوال. فكتب إليه موسى: إنّه ليس ببحر متّسع، وإنّما هو خليج يبين ما وراءه. فكتب إليه الوليد أن اختبرْها بالسرايا، وإن كان الأمر على ما حكيتَ.

فبعث رجلًا من مواليه يقال له طريف في أربعمائة رجل ومعهم مائة فرس، فسار في أربع سفائن، فخرج في جزيرة بالأندلس، فسُمّيت جزيرة طريف لنزوله فيها، ثمّ أغار على الجزيرة الخضراء، فأصاب غنيمةً كثيرة، ورجع سالماً في رمضان سنة إحدى وتسعين. فلمّا رأى الناس ذلك تسرّعوا إلى الغزو.

ثمّ إنّ موسى دعا مولًى له كان على مقدّمات جيوشه يقال له طارق بن زياد، فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالي وأقلّهم العرب، فساروا في البحر، وقصد إلى جبلٍ منيف، وهو متّصل بالبر فنزله، فسُمّي الجبل جبل طارق إلى اليوم، ولما ملك عبد المؤمن البلاد أمر ببناء مدينة على هذا الجبل وسمّاه جبل الفتح، فلم يثبت له هذا الإسم، وجرت الألسنة على الأوّل.

---

(١) ما بين القوسين من نسخة «بودليان».

(٢) في الأصول: «يليان» و «بَلّيان» و «يوليان»، وفي نهاية الأرب: «يليان».

وكان حلول طارق فيه في رجب سنة اثنتَين وتسعين من الهجرة. ولما ركب طارق البحر غلبته عينه، فرأى النبيّ ﷺ ومعه المهاجرون والأنصار قد تقلّدوا السيوف وتنكّبوا القسيّ، فقال له النبيّ ﷺ: يا طارق تقدّم لشأنك. وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد، فنظر طارق فرأى النبيّ ﷺ، وأصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه، فاستيقظ من نومه مستبشراً، وبشّر[1] أصحابه وقويت نفسه، ولم يشكّ في الظفر.

فلمّا تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل إلى الصحراء، وفتح الجزيرة الخضراء، فأصاب بها عجوزاً، فقالت له: إنّي كان لي زوج، وكان عالماً بالحوادث، وكان يحدّثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه، ووصف من نعته أنّه ضخم الهامة، وأنّ في كتفه اليسرى شامة عليها شعر؛ فكشف طارقُ ثوبه، فإذا الشامة كما ذكرتْ، فاستبشر طارق أيضاً هو ومَنْ معه. ونزل من الجبل إلى الصحراء، وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها، وفارق الحصن الذي في الجبل.

ولما بلغ رُذريقَ غزو طارق[2] بلاده عظم ذلك عليه، وكان غائباً في غزاته، فرجع منها وطارق قد دخل بلاده، فجمع له جمْعاً يقال بلغ مائة ألف، فلمّا بلغ طارقاً الخبرُ كتب إلى موسى يستمدّه ويخبره بما فتح، وأنّه زحف إليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به. فبعث إليه بخمسة آلاف، فتكامل المسلمون اثني عشر ألفاً، ومعهم يوليان يدلّهم على عورة البلاد، ويتجسّس لهم الأخبار. فأتاهم رُذريق في جنده، فالتقوا على نهر لكّة من أعمال شذونة لليلتَين بقيتا من رمضان سنة اثنتَين وتسعين، واتّصلت الحرب ثمانية أيّام، وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك، واتّفقوا على الهزيمة بغْضاً لرُذريق، وقالوا: إنّ المسلمين إذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا إلى بلادهم، وبقي المُلْك لنا. فانهزموا وهزم الله رُذريق ومَن معه، وغرق رُذريق في النهر[3]، وسار طارق إلى مدينة إستجة متّبِعاً لهم، فلقيه أهلُها ومعهم من المنهزمين خلق كثير، فقاتلوه قتالاً شديداً، ثمّ انهزم أهلُ الأندلس، ولم يلقَ المسلمون بعدها حرباً مثلها. ونزل طارق على عينٍ بينها وبين مدينة إستجة أربعة أميال، فسُمّيت عين طارق إلى الآن.

---

(١) في (آ): «وسرّ».

(٢) في (ب): «طريف».

(٣) في الإمامة والسياسة ٢/٧٤ أن رُذريق قتل واحتزّ رأسه. وفي البيان المغرب ٢/١١ لم يُعرف له موضع ولا وُجدت له جثّة، وإنما وُجد له خفّ مفصص فقالوا: إنه غرق، وقالوا: إنه قتل.

ولما سمعت القوط بهاتَين الهزيمتَين قذف الله في قلوبهم الرعب، وكانوا يظنّون أنّه يفعل فِعل طريف، فهربوا إلى طُلَيْطلة وكان طريف قد أوهمهم أنّه يـأكلهم هو ومَنْ معه. فلمّا دخلوا طليطلة وأخلوا مدائن الأندلس قال له يـوليان: قـد فرغتَ من الأنـدلس، ففرّقْ جيوشك وسِرْ أنتَ إلى طليطلة. ففرّق جيوشه من مدينة إستجة، وبعث جيشاً إلى قرطبة، وجيشاً إلى غرناطة، وجيشاً إلى مالقة، وجيشاً إلى تُـدْمِير، وسـار هو ومعـظم الجيش إلى جيان يريد طليطلة. فلمّا بلغ طليطلة وجدها خاليةً، وقد لحِق مَنْ كان بها بمـدينة خلف الجبل يقال لها ماية.

فأما الجيش الذي سار إلى قرطبة فـإنّهم دلّهم راعٍ على ثغرة في سـورها، فـدخلوا منها البلد وملكوه.

وأمّا الذين قصدوا تُدْمِير فلقِيهم صاحبها، واسمه[1] تُدْمير وبه سُمّيت، وكان اسمها أرويولة، وكان معه جيش كثيف، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثمّ انْهزم، فقُتل من أصحابه خلقٌ كثير، فأمر تُدمير النساء، فلبسْن السلاح، ثمّ صالح المسلمين عليها، وفتح سائرُ الجيوش ما قصدوا إليه من البلاد.

وأمّـا طارق، فلمّـا رأى طليطلة فـارغـة ضمّ إليهـا اليهـود، وتـرك معهم رجـالاً من أصحابه، وسار هو إلى وادي الحجارة، فقطع الجبل من فجّ فيـه، فسُمُّي بفجّ طـارق إلى اليوم. وانتهى إلى مدينة خلف الجبل تسمّى مدينة المائدة، وفيها وجد مـائدة سليمـان بن داود، عليه السلام، وهي من زبرجد خُضْر، حافّاتها وأرجُلُها منها مكلّلة باللؤلؤ والمرجـان والياقوت وغير ذلك، وكان لها ثلاثمائة وستّون رجْلاً. ثمّ مضى إلى مدينـة مايـة فغنِم منها ورجع إلى طليطلة في سنة ثلاثٍ وتسعين.

وقيل: اقتحم أرض جليقية، فخرقها حتّى انتهَى إلى مدينة استـرقة، وانصـرف إلى طليـطلة، ووافته جيـوشه التي وجّههـا من إستجة بعـد فراغهم من فتـح تلك المـدن التي سيّرهم إليها.

ودخـل موسى بن نُصَيـر الأندلس في رمضـان سنة ثـلاثٍ وتسعين في جمْعٍ كثيـر، وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده، فلمّا عبر إلى الأندلس ونزل الجزيـرة الخضراء قيـل له: تسلك طريق طارق، فأبَى، فقال له الأدِلاّء: نحن ندلّك على طريق أشرف من طريقه ومدائن لم تُفتح بعد، ووعده يوليان بفتح عظيم، فسُرّ بذلك، وكان قد غمّه.

---

(١) في الأوربية: «واسمها».

فساروا به إلى مدينة ابن السُّلَيم فافتتحها عَنْوةً، ثمّ سار إلى مدينة قرمونة، وهي أحصن[1] مدن الأندلس، فقدِم إليها يوليان وخاصّته، فأتوهم على حال المنهزمين معهم السلاح، فأدخلوهم مدينتهم، فأرسل موسى إليهم الخيل، ففتحوها لهم ليلاً، فدخلها المسلمون وملكوها، ثمّ سار موسى إلى إشبيلية، وهي من أعظم مدائن الأندلس بنياناً، وأعزّها آثاراً[2]، فحصرها أشهُراً، وفتحها وهرب مَنْ بها، فأنزلها موسى اليهودَ، وسار إلى مدينة ماردة فحصرها، وقد كان أهلها خرجوا إليه فقاتلوه قتالاً شديداً، فكمّن لهم موسى ليلاً في مقاطع الصخر، فلم يرهم الكفّار، فلمّا أصبحوا زحف إليهم، فخرجوا إلى المسلمين على عادتهم، فخرجوا عليهم من الكمين وأحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد، وقتلوهم قتلاً ذريعاً، ونجا مَنْ نجا منهم، فدخل المدينة، وكانت حصينة، فحصرهم بها أشهراً، وقاتلهم، وزحف إليهم بدبّابة عملها ونقبوا سورها، فخرج أهلها على المسلمين، فقتلوهم عند البرج، فسُمّي برج الشهداء إلى اليوم، ثمّ افتتحها آخر رمضان سنة أربعٍ وتسعين يوم الفِطْر صُلحاً على أنّ جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية وأموال الكنائس وحُلِيِّها للمسلمين.

ثمّ إنّ أهل إشبيلية اجتمعوا وقصدوها، فقتلوا مَنْ بها من المسلمين، فسيّر موسى إليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وملكها عَنْوةً، وقتل مَنْ بها من أهلها، وسار عنها إلى لَبْلة وباجة فملكهما[3]، وعاد إلى إشبيلية.

وسار موسى من مدينة ماردة في شوّال يريد طليطلة، فخرج طارق إليه فلقِيه، فلمّا أبصره نزل إليه فضربه موسى بالسَّوط على رأسه، ووبّخه على ما كان من خلافه، ثمّ سار به إلى مدينة طليطلة، فطلب منه ما غنم والمائدة أيضاً، فأتاه بها وقد انتزع رِجلاً من أرجلها، فسأله عنها فقال: لا علم لي[4]، كذلك وجدتُها، فعمل عِوَضها من ذهب.

وسار موسى إلى سَرَقُسْطَة ومدائنها، فافتتحها وأوغل في بلاد الفرنج، فانتهى إلى مفازةٍ كبيرة وأرض سهلة ذات آثار[5]، فأصاب فيها صنماً قائماً فيه مكتوب بالنقر: يا بني إسماعيل إلى ها هنا منتهاكم فارجعوا، وإن سألتم إلى ماذا ترجعون أخبرتكم أنّكم ترجعون إلى الإختلاف فيما بينكم، حتّى يضرب بعضكم أعناق بعض، وقد فعلتم.

فرجع ووافاه رسول الوليد في أثناء ذلك يأمره بالخروج عن الأندلس والقفول إليه،

---

(١) في (آ): «وأحسن».
(٢) في (ب): «وأغربها أبارا».
(٣) في الأصول: «فملكها».
(٤) في (آ) و(ر): «لا أعلم أني».
(٥) في (ب): أبار.

فساءه ذلك ومطل الرسولَ، وهو يقصد بلاد العدوّ في غير ناحية الصنم يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسّر النواقيس، حتّى بلغ صخرة بِلاي على البحر الأخضر، وهو في قوّة وظهور، فقدِم عليه رسول آخر للوليد يستحثّه، وأخذ بعنان بغلته وأخرجه، وكان موافاة الرسول بمدينة لك بجَليقية، وخرج على الفجّ المعروف بفجّ موسى، ووافاه طارق من الثغر الأعلى، فأقفله معه ومضيا جميعاً.

واستخلف موسى على الأندلس ابنَه عبد العزيز بن موسى، فلمّا عبر البحر إلى سبتة استخلف عليها وعلى طَنْجة وما والاهما ابنَه عبد الملك، واستخلف على إفريقية وأعمالها ابنَه الكبير عبد الله، وسار إلى الشام، وحمل الأموال التي غُنمتْ من الأندلس والذخائر والمائدة، ومعه ثلاثون ألف بِكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم[1] ومن نفيس الجوهر والأمتعة ما لا يُحْصَى، فورد الشام، وقد مات الوليد بن عبد الملك، واستخلف سليمان بن عبد الملك، وكان منحرفاً عن موسى بن نُصَير، فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأغرمه حتّى احتاج أن يسأل العرب في معونته.

وقيل: إنّه قدِم الشام والوليد حيٌّ، وكان قد كتب إليه وادّعى أنه هو الذي فتح الأندلس، وأخبره خبر المائدة، فلمّا حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة، ومعه طارق، فقال طارق: أنا غنِمتُها. فكذّبه موسى. فقال طارق للوليد: سَلْه عن رجلها المعدومة[2]. فسأله عنها، فلم يكن عنده منها علم، فأظهرها طارق وذكر أنه أخفاها لهذا السبب. فعلم الوليد صدق طارق، وإنّما فعل هذا لأنّه كان حبسه وضربه حتّى أرسل الوليد فأخرجه، وقيل: لم يحبسه.

قالوا: ولما دخلت الروم بلاد الأندلس كان في مملكتهم بيت إذا وليَ ملك منهم أقفل عليه قفلاً، فلمّا ملكت القوط فعلوا كفِعلهم، فلمّا ملك رُذريق أراد فتح الأقفال، فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك، فلم يقبلِ منهم، وفتح الأقفال، فرأى في البيت صُوَر العرب وعليهم العمائم الحُمر على خيول شهب، وفيه كتاب: إذا فُتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد. ففُتحت الأندلس تلك السنة[3].

فهذا القدر كافٍ في فتح الأندلس، ونذكر باقي أخبار الأندلس عند أوقات حدوثها على ما شرطنا إن شاء الله تعالى.

(١) في (ر): «واغنيائهم».

(٢) في (آ): «المقردمة» وفي نسخة بودليان «المعروفة».

(٣) نهاية الأرب ٢٤/٤٠ ـ ٥٣، فتوح البلدان ٢٢٧، البيان المغرب ٢/٢ ـ ٢٢، نفح الطيب ١/٨٦ ـ ١٧١، أخبار مجموعة ١٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٥، الإمامة والسياسة ٢/٧٣، فتوح البلدان ٢٣٠، البدء والتاريخ ٦/٤٠، المقتبس ١/١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٤/٢٥٤، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦، تاريخ خليفة ٣٠٤، البداية والنهاية ٩/٨٣.

ذكر غزوة جزيرة سردانية

هذه الجزيرة في بحر الروم، وهي من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صقلية وأقريطش، وهي كثيرة الفواكه، ولما فتح موسى بلاد الأندلس سيّر طائفةً من عسكره في البحر إلى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها، وعمد النصارى إلى ما لهم من آنية ذهب وفضّة، فَألقوا الجميع في الميناء الذي لهم، وجعلوا أموالهم في سقف بَنَوْهُ للبيعة العظمى التي لهم تحت السقف الأوّل، وغنم المسلمون فيها ما لا يُحدّ ولا يوصف، وأكثروا الغلول. فاتّفق أنّ رجلاً من المسلمين اغتسل في الميناء، فعلقت رِجْله في شيء، فأخرجه فإذا صحفة من فضّة، وأخذ المسلمون جميع ما فيه، ثمّ دخل رجل من المسلمين إلى تلك الكنيسة، فنظر إلى حمامٍ فرماه بسهمٍ فأخطأه، ووقع في السقف، وانكسر لوحٌ، فنزل منه شيء من الدنانير، وأخذوا الجميع، وازداد المسلمون غلولاً، فكان بعضهم يذبح الهرّة ويرمي ما في جوفها فيملأه دنانير ويخيط عليها ويلقيها[1] في الطريق، فإذا خرج أخذها، وكان يضع قائم سيفه على الجفن، ويملأه ذهباً.

فلمّا ركبوا في البحر سمعوا قائلاً يقول: اللهمّ غرّقهم، فغرقوا عن آخرهم، فوجدوا أكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم[2].

[سنة ١٣٥ هـ]

وفي سنة خمسٍ وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حَبيب بن أبي عُبَيدة الفِهْريُّ، فقتل مَنْ بها قتلاً ذريعاً، ثمّ صالحوه على الجزية، فأُخذت منهم وبقيت ولم يغزُها بعده أحد، فعمرها الروم.

[سنة ٣٢٣ هـ]

فلمّا كانت سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائة، أخرج إليها المنصورُ بن القائم العلويُّ، صاحب إفريقية، أسطولاً من المهديّة، فمرّوا بجنوة[3]، ففتحوا المدينة، وأوقعوا بأهل سردانية وسبوا فيها، وأحرقوا مراكب كثيرة، وأخربوا جَنَوة وغنِموا ما فيها.

---

(١) في الأوربية: «ويلقاها».

(٢) نهاية الأرب ٥٣/٢٤، ٥٤، فتوح مصر ٢٠٩، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٥٦.

(٣) في (آ): «بجنوده»، وفي الأصل (الباريسية): «بجند».

[سنة ٦٠٤ هـ]

وفي سنة ستٍّ وأربعمائة غزاها مجاهد العامريُّ من دانية، وكان صاحبها في البحر في مائةٍ وعشرين مركباً، ففتحها وقتل فأكثر، وسبَى النساء والذرّيّة، فسمع بذلك ملوك الروم، فجمعوا إليه، وساروا إليه من البرّ الكبير في جمْعٍ عظيم فاقتتلوا، وانهزم المسلمون وأخرجوا من جزيرة سردانية، وأخذت بعض مراكبهم، وأسر أخو مجاهد وابنه عليّ بن مجاهد، ورجع بمن بقي إلى دانية، ولم تُغْزَ بعد ذلك[١].

وإنّما ذكرنا جميع أخبارها ها هنا لقلّتها، وإذا تفرّقتْ لم تُعْرَف كما يجب.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا مَسْلَمة بن عبد الملك أرض الروم، ففتح حصوناً ثلاثة، وجلا أهلُ سُوسَنة إلى بلاد الروم[٢].

وفي هذه السنة غزا قُتَيْبة سِجِسْتان في قول بعضهم، وأراد قَصْدَ رُتبيل الأعظم، فلمّا نزل قتيبة سجستان أرسل رُتبيل إليه رسلاً بالصلح، فقبِل ذلك وانصرف، واستعمل عليهم عبد ربّه بن عبد الله الليثيّ[٣].

وحجّ بالنّاس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة[٤].

وكان عُمّال الأمصار مَنْ تقدّم ذكرهم[٥].

[الوَفَيات]

وفيها مات مالك بن أَوْس[٦] بن الحَدَثان البصْريُّ، من ولد نصر بن معاوية، بالمدينة، وله أربعٌ وتسعون سنة.

---

(١) تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٥٦، البيان المغرب ١٦٦/٣.

(٢) الطبري ٤٦٨/٦، نهاية الأرب ٣١٢/٢١، تاريخ خليفة ٣٠٤.

(٣) الطبري ٤٦٨/٦، البداية والنهاية ٨٤/٩، تاريخ اليعقوبي ٢٨٦/٢، ٢٨٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢٩١/٢، الطبري ٤٦٨/٦، مروج الذهب ٣٩٩/٤، تاريخ العظيمي ١٩٧، نهاية الأرب ٣٢٠/٢١، البداية والنهاية ٨٤/٩.
وقال ابن حبيب البغدادي في (المحبّر ٢٦): «وفي سنة اثنتين وتسعين الوليد بن عبد الملك، ويقال عبدُ العزيز بن الوليد، وهو أصح. ومثله قال المسعودي في مروج الذهب ٣٩٩/٤.

(٥) الطبري ٤٦٨/٦.

(٦) أنظر عن (مالك بن أوس) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٦٤ رقم ٣٨٦ وفيه مصادر ترجمته.

٩٣
ثم دخلت سنة ثلاثٍ وتسعين

ذكر صلح خُوارزمشاه وفتح خام جرد

وفي هذه السنة صالح قتيبة خُوارزمشاه.

وكان سبب ذلك أنّ ملك خُوارزم كان ضعيفاً، فغلبه أخوه خُرَّزاد على أمره، وكان أصغر منه، وكان إذا بلغه أنّ عند أحد ممّنْ هو منقطع إلى الملك جارية أو مالاً أو دابّة أو بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل إليه وأخذه منه، وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك، فإذا قيل للملك قال: لا أقوى به وهو مغتاظ عليه.

فلمّا طال ذلك عليه كتب إلى قُتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلّمها إليه، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكلّ مَنْ يضادّه ليحكم فيهم بما يرى، ولم يطّلع أحد من مرازبته على ذلك، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهّز للغزو، وأظهر قتيبة أنّه يريد الصّغْد، وسار من مَرْو، وجمع خوارزمشاه أجناده ودهاقنته، فقال: إنّ قتيبة يريد الصُّغد وليس يغازيكم، فهلمّوا نتنعّم في ربيعنا هذا.

فأقبلوا على الشرب والتنعّم، فلم يشعروا حتّى نزل قتيبة في هزارسب، فقال خوارزمشاه لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نقاتله. قال: لكنّي لا أرى ذلك لأنّه قد عجز عنه مَنْ هو أقوى منّا وأشدّ شوكة، ولكن أصرفه بشيء أؤدّيه إليه. فأجابوه إلى ذلك.

فسار خوارزمشاه فنزل بمدينة الفيل من وراء النهر، وهي أحصن بلاده، وقتيبة لم يعبر النهر، فأرسل إليه خوارزمشاه، فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع، وعلى أن يعينه على خام جرد، فقبل قتيبة ذلك.

وقيل: صالحه على مائة ألف رأس، ثمّ بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد، وكان يغازي خوارزمشاه، فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه، وقدِم منهم بأربعة آلاف أسير، فقتلهم قتيبة، وسلّم قُتيبةُ إلى خوارزمشاه أخاه ومَنْ كان يخالفه، فقتلهم ودفع أموالهم إلى قتيبة[1].

(١) تاريخ خليفة ٣٠٥، الفتوح لابن أعثم ٧/٢٣٥ ـ ٢٣٨، الطبري ٦/٤٦٩ ـ ٤٧١، تاريخ الإسلام (٨١ ـ =

ذكر فتح سمرقند

فلمّا قبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام إليه المجشّر بن مُزاحم السُّلميُّ. فقال له سرّاً: إن أردتَ الصُّغْد يوماً من الدهر فالآن، فإنّهم آمنون من أن يأتيهم عامل هذا، وإنّما بينك وبينهم عشرة أيّام. قال: أشار عليك بهذا أحد؟ قال: لا. قال: فسمعه[1] منك أحد؟ قال: لا. قال: والله لئن تكلّم به أحد لأضربنّ عُنقك.

فلمّا كان الغد أمر أخاه عبدَ الرحمن فسار في الفرسان والرّماة، وقدّم الأثقال إلى مرو، فسار يومه، فلمّا أمسى كتب إليه قتيبة: إذا أصبحتَ فوجّه الأثقال إلى مرو، وسِرْ بالفرسان والرُماة نحو الصُّغد واكتم الأخبار، فإنّي في الأثر. ففعل عبد الرحمن ما أمره، وخطب قُتيبةُ الناسَ وقال لهم: إن الصُّغد شاغرة برجلها، وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم، وإنّي أرجو أن يكون خوارزم والصُّغد كقُرَيْظة والنَّضير. ثمّ سار فأتَى الصُّغْد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاثٍ أو أربع، وقدِم معه أهل خوارزم وبخارى، فقاتلوه شهراً من وجهٍ واحد وهم محصورون.

وخاف أهل الصُّغد طول الحصار، فكتبوا إلى ملك الشاش وخاقان واخشاد فرغانة: إنّ العرب [إنْ] ظفروا بنا أتوكم بمثلِ ما أتونا به، فانظروا لأنفسكم، ومهما كان عندكم من قوّة فابذلوها. فنظروا وقالوا: إنّما نؤتى من سفلتنا، فإنّهم لا يجدون[2] كوجدنا. فانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال، وأمروهم أن يأتوا عسكر قتيبة فيبيّتوه، فإنّه مشغول عنه بحصار سمرقند، وولّوا عليه ابناً لخاقان، فساروا.

وبلغ قُتيبةَ الخبرُ فانتخب من عسكره أربعمائة، وقيل: ستّمائة من أهل النجدة والشجاعة وأعلمهم الخبر، وأمرهم بالمسير إلى عدوّهم، فساروا وعليهم صالح بن مسلم، فنزلوا على فرسخَين من العسكر على طريق القومِ، فجعل صالح له كمينين، فلمّا مضى نصف الليل جاءهم عدوّهم، فلمّا رأوا صالحاً حملوا عليه، فلمّا اقتتلوا شدّ الكمينان عن يمين وشمال، فلم يُرَ قوم كانوا أشدّ من أولئك. قال بعضهم: إنّا لنقاتلهم إذ رأيتُ تحت الليل قتيبة وقد جاء سرّاً، فضربتُ ضربةً أعجبتْني. فقلت: كيف ترى بأُمّي وأبي؟ قال: اسكتْ فضّ الله فاك. قال: فقتلناهم فلم يفلت منهم إلاّ الشريد، وحوينا أسلابهم وسلاحهم، فاحتززنا رؤوسهم، وأسرنا منهم أسرى، فسألناهم عمّن قتلنا

= ١٠٠ هـ). ص ٢٥٨، البداية والنهاية ٩/٨٤، نهاية الأرب ٢١/٢٩٥، ٢٩٦.

(١) في الأوربية: «فسمعك».

(٢) في الأوربية: «يجدرون».

فقالوا: ما قتلتم إلّا ابن ملك أو عظيماً أو بطلاً[1]، كان الرجل يُعدّ بمائة[2] رجل، وكتبنا أسماءهم على آذانهم، ثمّ دخلنا العسكر حين أصبحنا، فلم يأتِ أحد بمثل ما جئنا به من القتلى والأسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح، قال: وأكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة، وظننتُ أنّه رأى منهم مثل الذي رأى منّي.

ولما رأى الصُّغد ذلك انكسروا، ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم وثَلَمَ ثُلْمةً، فقام عليها رجل شتم قتيبة، فرماه بعض الرُّماة فقتله، فأعطاه قتيبة عشرة آلاف. وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كأنّما يناجي نفسه: حتّى متى يا سمرقند يعشّش فيك الشيطان؟ أما والله [لئن] أصبحت لأحاولنّ من أهلك أقصى غاية. فانصرف ذلك الرجل فقال لأصحابه: كم من نفسٍ تموت غداً! وأخبر الخبر.

فلمّا أصبح قتيبة أمر الناس بالجدّ في القتال، فقاتلوهم واشتدّ القتال، وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثُلْمة المدينة، فجعلوا التُرسة على وجوههم وحملوا، فبلغوها ووقفوا عليها، ورماهم الصُّغد بالنّشّاب فلم يبرحوا. فأرسل الصُّغد إلى قتيبة فقالوا له: انصرف عنّا اليوم حتّى نصالحك غداً. فقال قتيبة: لا نصالحهم إلّا ورجالنا على الثُّلْمة، وقيل: بل قال قتيبة: جزع العبيد، انصرفوا على ظَفَركم، فانصرفوا فصالحهم من الغد على ألفَي ألف ومائتي ألف مثقال في كلّ عام، وأن يُعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس، وأن يُخلوا المدينة لقتيبة، فلا يكون لهم فيها مقاتل، فيبني فيها مسجداً، ويدخل ويصلّي ويخطب ويتغدّى ويخرج.

فلمّا تمّ الصلح وأخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم، فدخل المسجد فصلّى فيه وخطب، وأكل طعاماً ثمّ أرسل إلى الصُّغْد: مَنْ أراد منكم أن يأخذ متاعه، فليأخذْ، فإنّي لستُ خارجاً منها، ولستُ آخذُ منكم إلّا ما صالحتكم عليه، غير أنّ الجُند يقيمون فيها.

وقيل: إنّه شرط عليهم في الصلح مائة ألف فارس، وبيوت النيران وحلية الأصنام، فقبض ذلك، وأُتي بالأصنام فكانت كالقصر العظيم، وأخذ ما عليها، وأمر بها فأُحرقت، فجاءه غَوْزَكَ فقال: إنّ شُكركَ عليّ واجب، لا تتعرّض لهذه الأصنام، فإنّ منها أصناماً من أحرقها هلك. فقال قتيبة: أنا أحرقها بيدي، فدعا بالنّار فكبّر، ثمّ أشعلها فاحترقت، فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال.

وأصاب بالصُّغد جارية من ولد يزدجرد، فأرسلها إلى الحجّاج، فأرسلها الحجّاج

(١) في الأوربية: «بطلان».

(٢) في الأوربية: «مائة».

إلى الوليد، فولدت له يزيد بن الوليد.

وأمر غوزك بالإنتقال عنها فانتقل.

وقيل: إنّ أهل سَمَرْقَنْد خرجوا على المسلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها، وقد أمر قتيبة يومئذٍ بسرير فأبرز وقعد عليه، فطاعنوهم حتّى جازوا قتيبة، وإنّه لمُحْتَبٍ بسيفه ما حلّ حبوته، وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب، فهزموهم حتّى ردّوهم إلى عسكرهم، وقُتل من المشركين عدد كثير، ودخلوا المدينة فصالحوهم، وصنع غوزك طعاماً ودعا قتيبة، فأتاه في عدّة من أصحابه، فلمّا بعُد استوهب منه سمرقند وقال للملك: انتقل عنها، فلم نجد بُدّاً من طاعته، وتلا قتيبة قوله تعالى: **﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً ٱلْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾**[1].

وحُكي عن الذي أرسله قتيبة إلى الحجّاج بفتح سمرقند قال: فأرسلني الحجّاج إلى الوليد، فقدِمتُ دمشق قبل طلوع الفجر، فدخلتُ المسجد، فإذا إلى جنبي رجل ضرير، فسألني: من أين أنت؟ فقلتُ: من خُراسان، وأخبرتُه خبر سمرقند. فقال: والذي بعث محمّداً بالحقّ ما افتتحتموها إلّا غدراً! وإنّكم يا أهل خُراسان الذين تسلبون بني أميّة ملكهم، ثمّ تنقضون دمشق حجراً حجراً. فلمّا فتح قتيبة سمرقند قيل[2]: [إنّ] هذا لأعدى العَيرين، لأنّه فتح سمرقند وخوارزم في عام واحد، وذلك أنّ الفارس إذا صرع في طلق واحد عَيرين قيل: عادى عَيرين. فلمّا فتحها قتيبة دعا نهارَ بن تَوْسِعة فقال: يا نهارُ أين قولك:

ألا ذهبَ الغزوُ المقرِّبُ للغِنى ... وماتَ النّدى والجودُ[3] بعد المهلّبِ

أقاما بمَرو الرُّوذ رَهن ضريحِهِ ... وقد غُيِّبا عن كلّ شرْقٍ ومغربِ[4]

أَفَغَزْوٌ هذا؟ قال: لا، هذا أحسن[5]، وأنا الذي أقول:

وما[6] كان مُذْ كنّا ولا كان قبلَنا[7] ... ولا هوَ فيما بعدَنا كابنِ مُسلِمِ[8]

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٥٠ و٥١.

(٢) في الأوروبية: «قال».

(٣) في الشعر والشعراء ٢/٤٤٩ «والغزو».

(٤) الطبري ٦/٤٧٩، وفي الشعر والشعراء ٢/٤٤٩ البيت الأول.

(٥) في (ر): «احشر».

(٦) في الفتوح لابن أعثم: «فما».

(٧) في الأوربية: «قبله».

(٨) في الفتوح: «ولا كائن كالباهلي ابن مسلم»، وفي الشعر والشعراء:
ما كان فيمن كان في الناس قبلنا ... ولا هو فيمن بعدنا كابن مسلم

أعمَّ لأهلِ الشِّرْكِ قَتلاً بسيفِهِ ... وأكثرَ فينا مَقْسِماً بعدَ مَقْسِمِ[1]

قال: وقال الشعراء في ذلك، فقال الكُميت من قصيدة:

(كانت سمرْقند أحقاباً يَمانيةً ... فاليَوْمَ تَنْسُبُها قيسيّةً مُضَرُ[2]

وقال كعب الأشقريُّ، وقيل رجل من جُعْفى)[3]:

كلَّ يَوْمٍ يحوي قتيبةُ نَهباً ... ويزيدُ الأموالَ مالاً جديدَا

باهليٌّ قد أُلبِسَ التّاجَ حتّى ... شابَ منه مفارِقٌ كنّ سُودَا

دوّخَ الصُّغدَ بالكَتائبِ حتّى ... تَرَكَ الصُّغدَ بالعَراء قُعودَا

فوَليدٌ يَبكي لفَقْدِ أبيهِ ... وأبٌ مُوجَعٌ يُبَكّي الوَليدَا[4]

ثمّ رجع قتيبة إلى مَرْو، وكان أهل خُراسان يقولون: إنّ قتيبة غدر بأهل سمرقند، فملكها غدراً.

وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله على حربها، وكان ضعيفاً، وكان على خراجها عُبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم. فاستضعف أهلِ خُوارزم إياساً، فجمعوا له، فكتب عُبيدُ الله إلى قتيبة، فبعث قتيبة أخاه عبد الله عاملاً، وأمره أن يضرب إياساً وحيّان النبطيَّ مائةً مائةً ويحلقهما. فلما قرُب عبد الله من خُوارزم أرسل إلى إياس فأنذره، فتنحّى، وقدِم عبد الله وأخذ حيّان فضربه وحلقه. ثمّ وجّه قتيبة الجنود إلى خوارزم مع المُغيرة بن عبد الله، فبلغهم ذلك، فلمّا قدِم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزم شاه وقالوا: لا نعينك[5]، فهرب إلى بلاد التُّرك. وقدِم المغيرة فقتل وسبَى، فصالحه الباقون على الجزِية، وقدِم على قتيبة، فاستعمله على نيسابور[6].

---

(١) في الشعر والشعراء ٢/ ٤٤٩.

أشد على الكفّار قتلا بسيفه ... وأكثرَ فينا مقسِماً بعد مقسم

وفي الفتوح ٧/ ٢٤٢:

أعمّ لأهل الأرض بأساً ونائلاً ... وأقسم فينا مغنماً بعد مغنم

والبيتان عند الطبري ٦/ ٤٧٩.

(٢) الطبري ٦/ ٤٧٩.

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) زاد الطبري بيتاً (٦/ ٤٨٠):

كلّما حلّ بلدةً أو أتاها ... تركَتْ خيلُهُ بها أُخْدوداً

(٥) في الأوربية: «يُغنيك».

(٦) الطبري ٦/ ٤٧٢ - ٤٨١، نهاية الأرب ٢١/ ٢٩٦ - ٢٩٩، وانظر: تاريخ خليفة ٣٠٥، وتاريخ اليعقوبي =

ذكر فتح طُلَيْطلة من الأندلس

قال أبو جعفر(١): وفي هذه السنة غضب موسى بن نُصَير على مولاه طارق فسار إليه في رجب منها، واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فتلقّاه وترضّاه، فرضي عنه، وقبِل عُذْره وسيّره إلى طليطلة، وهي من عظام بلاد الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوماً، ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود، عليه السلام، وما فيها من الذَّهب والجوهر، والله أعلم به.

قلتُ: لم يزِدْ على هذا، وقد ذكرتُ في سنة اثنتين وتسعين من فتح الأندلس ودخول موسى بن نُصَير إلى طارق ما فيه كفاية، فلا حاجة إلى إعادته، إلاّ أنّ أبا جعفر قد ذكر أنّ موسى هو الذي سيّر طارقاً وهو بالأندلس، ففتح مدينة طليطلة، والذي ذكره أهل الأندلس في تواريخهم ما تقدّم ذكره(٢).

ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز

قيل: وفي هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة.

وكان سبب ذلك أنّ عمر كتب إلى الوليد يُخبْره بعسف الحجّاج أهلَ العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حقّ، فبلغ ذلك الحجّاج فكتب إلى الوليد: إنَّ مَنْ عندي من المُرّاق وأهل الشقاق قد جلَوا عن العراق ولحِقوا بالمدينة ومكّة، وإنّ ذلك وهنٌ. فكتب إليه الوليد يستشيره فيمَنْ يولّيه المدينة ومكّة، فأشار عليه بخالد بن عبد الله وعثمان بن حيّان، فولّى خالداً مكّة، وعثمان المدينة، وعزل عمر عنهما.

فلمّا خرج عمر من المدينة قال: إنّي أخاف أن أكون مِمّن نفَتْه المدينة، يعني بذلك قول رسول الله ﷺ: تنفي خَبَثَها.

وكان عزله عنها في شعبان؛ ولما قدِم خالد مكّة أخرج مَنْ بها من أهل العراق كرهاً، وتهدّد مَنْ أنزل عراقيّاً أو أجّره داراً، واشتدّ على أهل المدينة وعَسَفَهم وجار فيهم، ومنعهم من إنزال عراقيّ. وكانوا أيّام عمر بن عبد العزيز كلّ من خاف الحجّاج لجأ إلى مكّة والمدينة.

٢/٢٨٧ ـ ٢٨٩، والأخبار الطوال ٣٢٧، والفتوح لابن أعثم ٢٣٩/٧ ـ ٢٤٧، وفتوح البلدان ٥١٨، ٥١٩، وتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٥٨، والبداية والنهاية ٨٥/٩، ٨٦.

(١) في تاريخه ٤٨١/٦.

(٢) أنظر: تاريخ خليفة ٣٠٥، وتاريخ اليعقوبي ٢٨٥/٢، وفتوح البلدان ٢٧٣، والبدء والتاريخ ٤٠/٦، ٤١، وتاريخ العظيمي ١٩٧، والبداية والنهاية ٨٦/٩، والبيان المغرب ١٢/٢، ١٣، و٤٣/١ و١٦.

(وقيل: إنّما استعمل على المدينة عثمان بن حيّان، وقد تقدّم سنة إحدى وتسعين ولاية خالد مكّة في قول بعضهم[1]).

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا العبّاسُ بن الوليد الرومَ ففتح سَبَسْطِية[2]، والمرزبانين[3]، وطَرَسُوس[4].

وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خُنْجَرة[5].

وفيها غزا مَسْلمة الروم أيضاً، ففتح ماسيسة[6]، وحصن الحديد، وغزالة من ناحية مَلَطْيَة[7].

وفيها أجدب أهل إفريقية، فاستسقى موسى بن نُصَير، فسُقوا[8].

وفيها كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز قبل أن يعزله يأمره بضرب خُبَيْب بن عبد الله بن الزّبَير، ويصبّ على رأسه ماءً بارداً، فضربه خمسين سوطاً وصبّ عليه ماءً بارداً في يوم شاتٍ، ووقّفه على باب المسجد، فمات من يومه[9].

---

(١) ما بين القوسين من (ب). والخبر في: تاريخ الطبري ٤٨١/٦، ٤٨٢، ونهاية الأرب ٣٢١/٢١، والبداية والنهاية ٨٨/٩، وتاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ)، ص ٢٦١ (حوادث سنة ٩٤ هـ).

(٢) سَبَسْطِية: بفتح أوله وثانيه، وسكون السين الثانية، وطاء مكسورة، وياء مثنّاة من تحت مخفّفة، مدينة قرب سُمَيساط محسوبة من أعمالها على أعلى الفرات، ذات سور. (معجم البلدان ١٨٤/٣) وفي تاريخ الطبري ٤٦٩/٦ «سمسطية».

(٣) في (ب): «المرزايين»، وفي نهاية الأرب ٣٢٣/٢١. «المرزبانيين».

(٤) في (آ) و (ر): «قونس»، و (ب): «طوس».

(٥) خَنْجَره: بلفظ التأنيث الخنجر، ناحية من بلاد الروم. (معجم البلدان ٣٩٢/٢)، والخبر في: تاريخ خليفة ٣٠٥، وتاريخ اليعقوبي ٢٩٢/٢، ونهاية الأرب ٣١٣/٢١، وتاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٥٨، والطبري ٤٦٩/٦.

(٦) في تاريخ اليعقوبي ٢٩٢/٢ «أماسية»، وفي تاريخ الطبري ٤٦٩/٦ «ماسة».

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢٩٢/٢، تاريخ خليفة ٣٠٥، تاريخ الطبري ٤٦٩/٦ وفيه زيادة «برجمة»، نهاية الأرب ٣١٣/٢١، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٥٨، البداية والنهاية ٨٤/٩، تاريخ العظيمي ١٩٧، المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٢.

(٨) الطبري ٤٨١/٦.

(٩) الطبري ٤٨٢/٦، تاريخ العظيمي ١٩٧، مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٤٤.

(٩) تاريخ خليفة ٣٠٥، الطبري ٤٨٢/٦، مروج الذهب ٣٩٩/٤، نهاية الأرب ٣٢١/٢١، البداية والنهاية ٨٨/٩، وفي المحبّر ٢٦: عمر بن عبد العزيز، ويقال: الوليد بن عبد الملك. وفي تاريخ اليعقوبي ٢٩١/٢: عمر بن عبد العزيز، وكذا في تاريخ العظيمي ١٩٧.

(خُبَيْبُ بضمّ الخاء المعجمة، وباءين موحَدّتين، بينهما ياء تحتها نقطتان).

وحجّ بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد. وكان على الأمصار مَن تقدّم ذكرهم إلّا المدينة، فإنّ عاملها عثمان بن حيّان قدِمَها في شوّال لليلتَين بقيتا منه (١) . وقد تقدّم ذكر ولاية خالد بن عبد الله مكّة في سنة تسعٍ وثمانين، وفي سنة إحدى وتسعين قد ذكرنا أنّه ولِيها هذه السنة.

[الوفيات]

وفيها مات أبو الشعثاء (٢) جابر بن زيد.

وأبو العالية البراء(٣)، واسمه زياد بن فيروز، وكان مولى لأعرابيّة من بني رياح، وليس بأبي العالية الرياحيّ، ذاك كان موته سنة تسعين.

وفيها مات بلال بن أبي الدّرداء(٤) الأنصاريُّ قاضي دمشق.

---

(١) الطبري ٦/٤٨٢.

(٢) أنظر عن (أبي الشعثاء) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣١٠ رقم ٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (أبي العالية البراء) في:
تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢/١٤٣ رقم ٦٨٥.

(٤) أنظر عن (بلال بن أبي الدرداء) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٠٤ رقم ٢٢٤ وفيه مصادر ترجمته.

٩٤
ثم دخلت سنة أربعٍ وتسعين

ذكر قتل سعيد بن جُبَير

قيل: وفي هذه السنة قُتل سعيد بن جُبير.

وكان سببه قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وكان الحجّاج قد جعله على عطاء الجُند حين وجّه عبد الرحمٰن إلى رُتبيل لقتاله، فلمّا خلع عبدُ الرحمن الحجّاجَ كان سعيد فيمن خُلع، فلمّا هُزم عبد الرحمن ودخل بلاد رُتبيل هرب سعيد إلى أصبهان، فكتب الحجّاج إلى عاملها بأخْذ سعيد، فخرج العامل من ذلك، فأرسل إلى سعيد يعرّفه ويأمره بمفارقته، فسار عنه فأتَى أذربيجان، فطال عليه القيام فاغتمّ بها، فخرج إلى مكّة، فكان بها هو وأُناس أمثاله يستخْفون، فلا يُخبرون أحداً أسماءهم.

فلمّا وليَ خالد بن عبد الله مكّة قيل لسعيد: إنّه رجل سَوء، فلو سرتَ عن مكّة. فقال: والله لقد فررتُ حتّى استحييتُ من الله، وسيجيئني[١] ما كتب الله لي. فلمّا قدِم خالد مكّة كتب إليه الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجّاج، فأخذ سعيدَ بن جُبير ومجاهداً وطَلْقَ بن حَبيب فأرسلهم إليه، فمات طلْق بالطريق، وحُبس مجاهد حتّى مات الحجّاج.

وكان سيّرهم مع حرسَين، فانطلق أحدهما لحاجةٍ وبقي الآخر، فقال لسعيد، وقد استيقظ من نومه ليلاً: يا سعيد، إنّي أبرأ إلى الله من دمك، إنّي رأيتُ في منامي فقيل لي: ويلك! تبرأ من دم سعيد بن جُبير! فاذهبْ حيث شئت فإنّي لا أطلبك. فأبَى سعيد، فرأى ذلك الحرس مثل تلك الرؤيا ثلاثاً ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل.

فقدموا به الكوفة، فأُنزل في داره، وأتاه قرّاء الكوفة، فجعل يحدّثهم وهو يضحك وبُنَيّة له في حجْره، فلمّا نظرتْ إلى القيد في رِجْله بكت، ثمّ أدخلوه على الحجّاج، فلمّا أُتي به قال: لعن الله ابن النصرانيّة! يعني خالداً، وكان هو أرسله، أما كنت أعرف مكانه؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكّة. ثمّ أقبل عليه فقال: يا سعيد ألم أُشرِكك في

(١) في الأوربية: ويستحيني.

إمامتي؟ ألم أفعل؟ ألم أستعملك؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك عليّ؟ قال: إنّما أنا أمرؤ من المسلمين، يخطىء مرّة ويصيب مرّة. فطابت نفسُ الحجّاج، ثمّ عاوده في شيء، فقال: إنّما كانت بيعة في عنقي؛ فغضب الحجّاج وانتفخ وقال: يا سعيد ألم أَقْدَم مكّة فقتلتُ ابن الزّبَير، وأخذتُ بيعة أهلها، وأخذتُ بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى. قال: ثمّ قدِمتُ الكوفة والياً، فجدّدت البيعة، فأخذت بيعتك لأمير المؤمنين ثانيةً؟ قال: بلى. قال: فتنكث بيعتَين لأمير المؤمنين، وتُوفي بواحدةٍ للحائك ابن الحائك؛ والله لأقتلنّك! قال: إنّي إذاً لسعيد كما سمَّتْني أمّي. فأمر به فضُربت رقبته، فبدر[1] رأسه عليه كُمّة بيضاء لاطية، فلمّا سقط رأسُه هلّل ثلاثاً، أَفْصَحَ بمرّة ولم يُفْصِح بمرّتَين.

فلمّا قُتل التبس عقل الحجّاج، فجعل يقول: قيودنا قيودنا! فظنّوا أنّه يريد القيود، فقطعوا رِجلَيْ سعيد من أنصاف ساقَيه وأخذوا القيود، وكان الحجّاج إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه، فيقول: يا عدوّ الله فيمَ قتلتني؟ فيقول: ما لي ولسعيد بن جُبير! ما لي ولسعيد بن جُبير!.

ذكر غزوة الشاش وفَرْغانة

في هذه السنة قطع قُتيبة النهر، وفرض على أهل بخارى وكِشّ ونَسَف وخُوارزم عشرين ألف مقاتل، فساروا معه، فوجّههم إلى الشاش، وتوجّه هو إلى فرغانة فأتى خُجَنْدة[2]، فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مراراً، كلّ ذلك يكون الظفر للمسلمين. ثمّ إن قتيبة أتى كاشان مدينة فرغانة، وأتاه الجنود الذين وجّههم إلى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها، وانصرف إلى مَرْو، وقال سَحبان يذكر قتالهم بخُجَنْدة فقال:

فَسَلِ الفَوارِسَ في خُجَنْـ ـدَة تحتَ مرهفَةِ العَوالي
هلْ كُنتُ أجمعهمْ إذا هُزموا وأُقدِمُ في القِتالِ[3]
أمْ كُنتُ أضرِبُ هامَةَ الـ ـعاتي[4] وأصبِرُ للعَوالي

(١) في نسخة مكتبة بودليان: «برز»، والخبر في: تاريخ الطبري ٦/٤٨٧ ـ ٤٩١، ونهاية الأرب ٢١/٣٢٢، ٣٢٣، والبداية والنهاية ٩/٩٦، ٩٧، والعيون والحدائق ٣/٩، ١٠، وانظر تحقيقنا لتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ) ص ٣٦٦ ـ ٣٧٠ ففيه الخبر والمصادر عنه.

(٢) خُجنْدَة: بضم أوله، وفتح ثانيه، ونون، ثم دال مهملة. بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً. قال الإصطخري: خجندة متاخمة لفرغانة وإنْ كانت مفردة في الأعمال عنها، وهي في غربي نهر الشاش. (معجم البلدان ٢/٣٤٧).

(٣) الطبري: «قتالي».

(٤) في الأوربية: العاقي.

هـذا وأنْـتَ قَـرِيـعُ قَـيْـ ـس كُـلِّهـا ضَـخْـمُ الـنَّـوَالِ
وفـضَـلـتَ قَـيـسـاً فـي الـنَّـدَى وأبُـوكَ في الحِجَـجِ الخَـوالـي
ولـقَـد تَـبَـيَّـنَ عَـدلُ حُـكْـ ـمِـكَ فيهِـمُ في كـلِّ حـالِ[1]
تَـمَّـتْ مـرُوءتُـكُـمْ ونَـا غَـى عِـزُّكـمْ غُـلب الـجِـبـالِ[2]

ذكر عدّة حوادث

في هـذه السنة غـزا العبّاس بن الـوليد أرض الـروم ففتح أنـطاكيـة[3].

وفيها غزا عبدُ العزيز بن الوليد فبلغ غَزَالة[4]، وبلغ الوليدُ بن هشام المُعَيْطيُّ برجَ الحمام[5]، ويزيد بن أبي كَبْشة أرض سورية[6].

وفيها كانت الزلازل بالشام، ودامت أربعين يوماً، فخرِبَت البلاد، وكان عِظَمُ ذلك في أنطاكية[7].

وفيها افتتح القاسم بن محمّد الثقفيُّ أرض الهند[8].

---

(١) في الأوربية: مال، والطبري: «مال»، وكذا في نهاية الأرب.

(٢) الطبري ٦/٤٨٣، ٤٨٤، نهاية الأرب ٢١/٢٩٩، ٣٠٠، البداية والنهاية ٩/٩٥، وانظر: تاريخ خليفة ٣٠٦، والفتوح لابن أعثم ٧/٢٤٩، ٢٥٠، وفتوح البلدان ٥١٩، وتاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٦٠.

(٣) تاريخ خليفة ٣٠٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٢ ولم يذكر مكان الغزوة، الطبري ٦/٤٨٣، نهاية الأرب ٢١/٣١٣، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٢٦١، البداية والنهاية ٩/٩٥، تاريخ العظيمي ١٩٨، المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٢.

(٤) تاريخ خليفة ٣٠٦، الطبري ٦/٤٨٣، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٦١، البداية والنهاية ٩/٩٥. وغزالة: من ناحية مَلَطية.

(٥) الطبري ٦/٤٨٣، البداية والنهاية ٩/٩٢.

(٦) الطبري ٦/٤٨٣، وفي تاريخ خليفة ٣٠٦ غزوة قام بها مسلمة بن عبد الملك إلى أرض الروم فافتتح سندرة.

(٧) العيون والحدائق ٣/٨، الطبري ٦/٤٨٣، نهاية الأرب ٢/٣٢٤، المنبجي ٨٢.

(٨) الطبري ٦/٤٨٣، والبداية والنهاية ٩/٩٥، وفي العيون والحدائق ٣/٨: فتح محمد بن القاسم أرض الهند، وقيل: فتحها محمد بن العباس. وفي تاريخ خليفة ٣٠٧ (حوادث ٩٥ هـ). فيها افتتح محمد بن القاسم المولتان. ونحوه في: نهاية الأرب ٢١/٣٠٧. وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٨، ٢٨٩، وفيه أيضاً: محمد بن القاسم.

[الوفيات]

وتوفّي في هذه السنة عليّ بن الحسين[1] في أوّلها.

ثمّ عُرْوَة بن الزّبير[2].

ثمّ سعيد بن المسيّب[3].

وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[4].

واستقضى الوليدُ على الشام سليمانَ بن حبيب[5]

وحجّ بالناس مَسْلَمة بن عبد الملك[6]. وقيل: عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك[7].

وكان العامل بمكّة خالد بن عبد الله، وبالمدينة عثمان بن حيّان، وبمصر قُرّة بن شَريك، وبخراسان قُتيبة من قِبَل الحجّاج[8].

---

(١) أنظر عن (علي بن الحسين) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٣١ رقم ٣٥٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (عروة بن الزبير) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٢٤ رقم ٣٤٥، وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (سعيد بن المسيّب) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٧١ رقم ٢٧٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (أبي بكر بن عبد الرحمن) في:
تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٥١٢ رقم ٤٤٩. وفيه مصادر ترجمته.

(٥) الطبري ٤٩١/٦. نهاية الأرب ٣٣١/٢١، وفي البداية والنهاية ٩٧/٩ «سليمان بن صرد»، وانظر: أخبار القضاة لوكيع ٢١٠/٣.

(٦) تاريخ خليفة ٣٠٦، تاريخ اليعقوبي ٢٩١/٢، الطبري ٤٩١/٦، مروج الذهب ٣٩٩/٤، تاريخ العظيمي ١٩٨، نهاية الأرب ٣٣١/٢١، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٦١، البداية والنهاية ٩٧/٩.

(٧) الطبري ٤٩١/٦، نهاية الأرب ٣٣١/٢١.
وفي المحبّر لابن حبيب ٢٦: وفي سنة أربع وتسعين بشر بن الوليد، ويقال الوليد بن عبد الملك.
وفي البداية والنهاية ٩٧/٩: وحج بالناس فيها العباس بن الوليد، ويقال مسلمة بن عبد الملك.
وفي العيون والحدائق ١٢/٣ حج الوليد بن عبد الملك.

(٨) الطبري ٤٩١/٦، البداية والنهاية ٩٧/٩، ٩٨.

٩٥
ثم دخلت سنة خمسٍ وتسعين

ذكر غزوة الشاش

قيل: وفي هذه السنة بعث الحجّاج جيشاً من العراق إلى قُتيبة فغزا بهم، فلمّا كان بالشاش أو بكُشْماهان أتاه موت الحجّاج في شوّال منها، فغمّه ذلك وتمثّل يقول:

لَعَمري لَنِعمَ المَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بحَوْرانَ أمسَى أَعْلَقَتْهُ الحَبائِلُ
فإنْ تحيَ لا أَمْلَلْ[١] حَياتي وَإنْ تَمُتْ فما في حَياةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طائِلُ[٢]

ورجع إلى مرو وتفرّق بالناس، فأتاه كتاب الوليد: قد عرف أميرُ المؤمنين بلاءك وجِدّك واجتهادك [في جهاد] أعداء المسلمين، وأميرُ المؤمنين رافعك وصانعٌ بك الذي يجب لك، فالممْ مغازيك، وانتظرْ ثوابَ ربّك، ولا تغبْ عن أمير المؤمنين كتبُك حتى كأنّي أنظر إلى بلائك[٣] والثغر الذي أنت فيه[٤].

ذكر وفاة الحجّاج بن يوسف[٥]

قيل: إنّ عمر بن عبد العزيز ذُكر عنده ظلم الحجّاج وغيره من ولاة الأمصار أيّام الوليد بن عبد الملك، فقال: الحجّاج بالعراق، والوليد بالشام، وقُرّة بمصر، وعثمان بالمدينة، وخالد بمكّة، اللهمّ قد امتلأتِ الدنيا ظلماً وجوراً فأرِحِ الناس! فلم يمضِ غير قليل حتّى تُوُفّي الحجّاج، وقُرّة بن شَريك في شهرٍ واحد، ثمّ تبِعَهما[٦] الوليد، وعُزل عثمان وخالد، واستجاب الله لعمر[٧].

---

(١) في الأوربية: لا ملك.
(٢) البيتان من جملة أبيات في ديوان الحطيئة ١٠٠، وتاريخ الطبري ٦/٤٩٢، والبداية والنهاية ٩/١١٧.
(٣) في تاريخ الطبري: «بلادك».
(٤) الطبري ٦/٤٩٢، ٤٩٣، وانظر: تاريخ خليفة ٣٠٧، والبداية والنهاية ٩/١١٦، ١١٧، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٦٣.
(٥) أنظر عنه وعن مصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣١٤ - ٣٢٧ رقم ٢٣٣.
(٦) في الأوربية: «تبعهم».
(٧) تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٥٦.

وما أشبه هذه القصّة بقصّة [ابن] عمر مع[1] زياد بن أبيه[2]، حيث كتب إلى معاوية يقول له: قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة. يعرّض بإمارة الحجاز. فقال ابن عمر لما بلغه ذلك: اللهمّ أرِحْنا من يمين زياد، وأرِحْ أهلَ العراق من شماله. فكان أوّل خبرٍ جاءه موت زياد.

وكانت وفاة الحجّاج في شوّال سنة خمسٍ وتسعين، وقيل: كانت وفاته لخمسٍ بقين من شهر رمضان، وله من العُمر أربع وخمسونَ سنة، وقيل: ثلاث وخمسون سنة، وكانت ولايته العراق عشرين سنة، ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنَه عبد الله بن الحجّاج، واستخلف على حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كَبْشة، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، فأقرّهما الوليد بعد موته، ولم يغيّر أحداً من عُمّال الحجّاج[3].

ذكر نسبه وشيء من سيرته

هو الحجّاج بن يوسف بن الحكَم بن أبي عَقيل بن عامر بن مسعود[4] بن مُعتّب بن مالك بن كعب بن عَمْرو بن سعد بن عَوف بن ثقيف أبو محمّد الثقفيّ.

قال قُتَيبَة بن مسلم: خَطَبَنا الحجّاج فذكر القبر، فما زال يقول: إنّه بيت الوحدة، إنّه بيت الغُربة، وبيت كذا وكذا، حتى بكى وأبكى، ثمّ قال: سمعتُ أميرَ المؤمنين عبد الملك يقول: سمعتُ مروان يقول في خطبته: خطبَنا عثمان فقال في خطبته: ما نظر رسول الله ﷺ، إلى قبرٍ أو ذكره إلّا بكى[5]. وقد رُوي أحاديث غير هذا عن ابن عبّاس وأَنَس.

وقال ابن عَوْف: كنتُ إذا سمعتُ الحجّاج يقرأ عرفتُ أنّه طالما درس القرآن[6]. وقال أبو عَمْرو بن العلاء: ما رأيتُ أفصح من الحجّاج ومن الحسن، وكان الحسن أفصح[7]. وقال عبد الملك بن عُمير: قال الحجّاج يوماً: مَنْ كان له بلاءٌ فلْيقُمْ،

---

(١) في الأوربية: «بن».

(٢) في الأوربية: «أميّة».

(٣) الطبري ٦/٤٩٣.

(٤) في وفيات الأعيان ٢/٢٩ «ابن أبي عقيل بن مسعود بن عامر»، ومثله في: تهذيب تاريخ دمشق ٤/٥١.

(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٥١.

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٥٢.

(٧) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٥٢.

فنُعطيَه[1] على بلائه. فقام[2] رجل فقال: أعطِني على بلائي. قال: وما بلاؤك؟ قال: قتلتُ الحسين. قال: كيف قتلتَه؟ قال: دَسَرْتُه بالرمح دَسْراً، وهبّرته بالسيف هبراً، وما أشركتُ معي في قتله أحداً. قال: فإنّك لا[3] تجتمع أنت وهو في مكان واحد. وقال: اخرجْ! ولم يُعطه شيئاً[4].

قيل: كتب عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بقتل أسلم بن عبد البكريّ بشيءٍ بلغه عنه، فأحضره الحجّاج وقال: أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[5] الآية؛ والذي بلغه عنّي باطل، فاكتبْ إلى أمير المؤمنين أنّي أعول أربعاً وعشرين امرأة وهنّ بالباب، فأحضرهنّ، فهذه أمّه، وهذه عمّته وزوجته وابنته، وكان في آخرهنّ جارية قاربت عشر سنين. فقال لها: مَنْ أنتِ منه؟ قالت: ابنته، أصلحَ اللّهُ الأمير! ثمّ أنشأت تقول:

أحجّاجُ لم تَشهَدْ مَقامَ بَناتِه — وعمّاتِه يَندُبنَهُ اللّيلَ أجمعَا
أحجّاجُ لم تَقبلْ[6] به أن قتلتَهُ — ثَماناً وعَشراً وآثنَتَينِ وأربَعَا
أحجّاجُ مَنْ هذا يَقومُ مَقامَه — علينا فمَهلاً إن تزدِنا تضَعضُعَا
أحجّاجُ إمّا أن تَجودَ بنِعمَةٍ — علَينا وَإمّا أنْ تُقتّلَنَا مَعَا

فبكى الحجّاج وقال: والله لا أعنتُ الدهر عليكنّ، ولا زدتكنّ تضعضعاً.

وكتب إلى عبد الملك بخبر الرجل والجارية، فكتب إليه عبد الملك: إن كان الأمر كما ذكرتَ، فأحسِنْ صِلته، وتفقّد الجارية. ففعل[7].

وقال عاصم بن بهْدلة: سمعتُ الحجّاج يقول: اتّقوا الله ما استطعتم، هذا والله مثنوية، واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ليس في مثنوية، والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلّتْ لي دماؤكم، ولا أجد أحداً يقرأ عليّ قراءة ابن أمّ عبد، يعني ابن مسعود، إلّا ضربتُ عنقه، ولأحُكّنّها من المُصْحف ولو بضلع

---

(١) في الأوربية: فليعطه.
(٢) في الأوربية: فقال.
(٣) في الأوربية: أفَأ إنّك لم.
(٤) تهذيب تاريخ دمشق ٦٣/٤، ٦٤، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣١٩.
(٥) سورة الحجرات، الآية ٦.
(٦) تهذيب تاريخ دمشق: «كم تقتل».
(٧) تهذيب تاريخ دمشق ٦٤/٤، ٦٥.

خنزير[1]، قد ذكر ذلك عند الأعمش. فقال: وأنا سمعتُه يقول: فقلتُ في نفسي لأقرأنّها على رغم أنفك.

قال الأوزاعيُّ: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كلّ أمّة بخبيثها وجئْنا بالحجّاج لغلبناهم[2]. قال منصور: سألنا إبراهيم الشّجاعي[3]، عن الحجّاج فقال: ألم يقل الله: ﴿ألا لَعْنَةُ اللّهِ عَلى الظّالِمِينَ﴾[4]؟ قال الشافعيُّ: بلغني أنّ عبد الملك بن مروان قال للحجّاج: ما من أحد إلّا وهو عارف بعيوب نفسه، فعِبْ نفسك ولا تخبأ منها شيئاً. قال: يا أمير المؤمنين أنا لجوجٌ حقود[5]. فقال له عبد الملك: إذاً بينك وبين إبليس نَسَب. فقال: إنّ الشيطان إذا رآني سالمني[6].

قال الحسن: سمعتُ عليّاً على المنبر يقول: اللهمّ ائتمنتهم فخانوني، ونصحتُهم فغشّوني، اللهمّ فسلّط عليهم غلامَ ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهليّة! فوصفه وهو يقول: الزّيّال، مفجّر الأنهار، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها. قال الحَسَن: هذه والله صفة الحجّاج[7].

قال حَبيب بن أبي ثابت: قال عليّ لرجل: لا تموت حتّى تُدرك فتى ثقيف. قيل له: يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف؟ قال: ليُقالَنّ له يوم القيامة: اكفِنا زاوية[8] من زوايا جهنّم، رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها حتّى لو لم تبقَ إلّا معصية واحدة، وبينه وبينها باب مغلق لَكَسَره حتّى يرتكبها، يقتل بمن أطاعَه مَنْ عصاه[9].

وقيل: أُحصي من قتله الحجّاج صبراً فكانوا مائة ألف وعشرين ألفاً[10]. وقيل: إنّ الحجّاج مرّ بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في مِشْيته، فقال رجل لخالد: مَنْ هذا؟ قال خالد: بخ بخ! هذا عَمْرو بن العاص. فسمعهما الحجّاج فرجع وقال: والله ما يسرّني

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٧٢.

(٢) مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٠٨ و١٠٩.

(٣) في (ر): «النخعي».

(٤) سورة هود، الآية ١٨.

(٥) في (ب): «حقود جود»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «حقود حسود».

(٦) في الأوربية: ساملني. والقول في: تهذيب تاريخ دمشق ٤/٧٥.

(٧) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٧٥، ٧٦.

(٨) في الأوربية «رؤية».

(٩) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٧٦.

(١٠) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٨٣.

أنّ العاص ولدني، ولكنّي ابن الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش، وأنا الذي ضربتُ بسيفي هذا مائة ألف، كلّهم يشهد أنّ أباك كان يشرب الخمر ويُضمِر[1] الكفر. ثمّ ولّى وهو يقول: بخ بخ عَمْرو بن العاص! فهو قد اعترف في بعض أيّامه بمائة ألف قتيل على ذَنْبٍ واحد.

ذكر ما فعله محمّد بن القاسم بعد موت الحجّاج وقتله

لما مات الحجّاج بن يوسف كان محمّد بن القاسم[2] بالمُلْتان[3]، فأتاه خبر وفاته، فرجع إلى الرُّور والبغرور[4]، وكان قد فتحهما، فأعطى الناسَ، ووجّه إلى البَيْلمان جيشاً، فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة، وسأله أهل سُرشت، وهي مغزى أهل البصرة، وأهلها يقطعون في البحر، ثمّ أتى محمّد الكيرج[5] فخرج إليه دوهر فقاتله، فانهزم دوهر وهرب، وقيل: بل قُتل، ونزل أهل المدينة على حكم محمّد فقتل وسبَى؛ قال الشاعر:

نحنُ قَتَلنا ذاهراً ودَوْهَرا ... والخَيلُ تَرْدي مِنْسَراً فمِنْسَرَا[6]

ومات الوليد بن عبد الملك ووليَ سليمان بن عبد الملك، فولّى يزيدَ بن أبي كَبْشة السكسكيَّ السند، فأخذ محمّداً وقيّده وحمله إلى العراق، فقال محمّد متمثّلاً:

أضاعُوني وأيّ فتًى أضاعُوا ... ليَوْمِ كريهَةٍ وسِدادِ ثَغرِ[7]

فبكى أهل السند على محمّد، فلمّا وصل إلى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط، فقال:

فلئِنْ ثَوَيْتُ بواسطٍ وبأرْضِها ... رَهْنَ الحَديد مكبَّلاً مَغلُولا
فلرُبَّ قَيْنَةٍ[8] فارِسٍ قد رُعتُها ... ولَرُبَّ قَرْنٍ قد تَرَكْتُ قتيلا[9]

وقال:

---

(١) في الأوربية: «ويضمن».

(٢) هذا يؤكّد أنه ورد مقلوباً في حوادث السنة الماضية، فالصحيح «محمد بن القاسم» وليس «القاسم بن محمد».

(٣) تاريخ خليفة ٣٠٧.

(٤) في (آ): «والتغرور»، و(ب): «والتغور»، وكذا في نسخة بودليان.

(٥) في (ب): «اللرح».

(٦) فتوح البلدان ٥٣٩.

(٧) فتوح البلدان ٥٣٩.

(٨) في فتوح البلدان: «فتية».

(٩) فتوح البلدان ٥٣٩.

ولَوْ كنتُ أجمعتُ الفرارَ[1] لـوُطّئتْ إنَـاثٌ أُعِـدّتْ لـلوَغـى وذكُـورُ
وما دخلتْ خيلُ السّكاسِكِ أرْضَنا وَلا كـانَ مِـنْ عَـكٍّ عَـليّ أمِـيـرُ
وما كُنتُ للبُدّ[2] المَزُونيّ تابِعاً[3] فـيَـا لَـكَ دَهـرٌ بـالكِـرام عَـثُـورُ[4]

فعذّبه صالح في رجال من آل أبي عَقيل حتّى قتله[5]، وكـان الحجّاج قتـل آدم أخا صالح، وكان يرى رأي الخوارج، وقال حمزة بن بَيْض[6] الحنفيُّ يرثي محمّداً:

إنّ المُروءةَ[7] والسّماحـةَ والنّدَى لمحمّـدِ بنِ القـاسِمِ بن محَمّـدِ
ساسَ[8] الجيوشَ لَسبعَ[9] عشرَةَ حجّةً يـا قُرْبَ ذلـك سُؤدداً من مَوْلِدِ[10]

وقال آخر:

سـاسَ الرّجـالَ لسبـعَ عشـرَةَ حِجّـةً ولِـداتُـهُ إذ ذاك فــي أشْغـالِ[11]

ومـات يزيـد بن أبي كَبْشة بعـد قدومـه أرض السند بثمـانية عشـر يومـاً، واستعمـل سليمانُ بن عبد الملك على السند حَبيبَ بن المهلّب، فقدِمهـا وقد رجـع ملوكُ السند إلى ممالكهم، ورجع جيشبه[12] بن ذاهر إلى بـرهمنابـاذ، فنزل حبيب على شـاطىء مهران، فأعطاه أهلُ الرور الطاعة، وحارب قوماً فظفر بهم.

ثمّ مـات سليمان واستخلف عمـر بن عبد العـزيز، فكتب إلى الملوك يـدعوهم إلى الإسلام والطّاعة، على أن يملّكهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. فأسلم جيشبه والملوك، وتسمّوا بأسماء العرب.

وكـان عَمـرو بن مسلم البـاهليُّ عـامـل عمـر على ذلـك الثغـر، فغـزا بعض الهنـد

---

(١) في الفتوح «القراء».
(٢) في نسخة بودليان: «للبزّ»، وفي فتوح البلدان: «العبد».
(٣) في (ب): «بايعاً».
(٤) فتوح البلدان ٥٣٩.
(٥) في طبعة صادر ٤/٥٨٩ «قتلهم» والتصحيح من فتوح البلدان ٥٤٠.
(٦) في تاريخ اليعقوبي: «زياد الأعجم»، والمثبت عن: فتوح البلدان.
(٧) في تاريخ اليعقوبي «إن الشجاعة».
(٨) في تاريخ اليعقوبي «قاد».
(٩) في تاريخ اليعقوبي «لخمس».
(١٠) فتوح البلدان ٥٤٠. وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٩، ٢٩٠.
(١١) فتوح البلدان ٥٤٠.
(١٢) في فتوح البلدان «حليشه».

فظفر[١]. ثمّ إنّ الجُنَيْد بن عبد الرحمن وليَ السند أيّام هشام بن عبد الملك، فأتَى الجُنيدُ شطَّ مهران، فمنعه جيشبه[٢] بن ذاهر العبور، وأرسل إليه: إنّي قد أسلمتُ، وولّاني الرجل الصالح بلادي ولستُ آمنك. فأعطاه رُهُناً، وأخذ منه رُهُناً على خراج بلاده، ثمّ ترادّا وكفر جيشبه وحارب، وقيل: إنّه لم يحارب ولكنّ الجُنيد تجنّى عليه، فأتَى الهند فجمع جموعاً، وأعدّ السفن واستعدّ للحرب، فسار إليه الجُنَيد بالسفن، فالتقوا في بطيحة[٣]، فأخذ جيشبه[٤] أسيراً، وقد جنحتْ سفينته، فقتله الجُنيد، وهرب صصّه بن ذاهر، وهو يريد أن يمضي إلى العراق فيشكو غدر الجُنيد، فلم يزل الجُنيد يؤنّسه حتّى وضع يده في يده فقتله.

وغزا الجنيدُ الكيرجَ، وكانوا قد نقضوا، فاتّخذوا كبشاً[٥] وصكّ[٦] بها سور المدينة، فثلمه ودخلها، فقتل وسبى، ووجّه العُمّال إلى المرمذ[٧] والمَنْدل ودَهْنَج وبرونج[٨]. وكان الجُنيد يقول: القتل في الجَزَع أكبر منه في الصبر. ووجّه جيشاً إلى أزين[٩] فأغاروا عليها، وحرَقوا ربضها، وفتح البَيْلمان، وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف وحمل مثلها[١٠]. وولّى الجنيدُ تميمَ بن زيد القينيَّ، فضعف ووهن، ومات قريباً من الدَّيْبُل[١١].

وفي أيّامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم، ثمّ ولي الحَكَمُ بن عوّام الكلبيُّ، وقد كفر أهل الهند إلّا أهل قَصّة، فبنى مدينةً سمّاها المحفوظة، وجعلها مأوى للمسلمين، وكان معه عَمرو بن محمّد بن القاسم، وكان يفوّض إليه عظيم الأمور، فأغزاه من المحفوظة، فلمّا قدِم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسمّاها المنصورة، فهي التي ينزلها الأمراء، واستخلص ما كان قد غلب عليه العدوّ، ورضي الناس بولايته، وكان خالد القسريُّ يقول: واعجبا! ولّيتُ فتى العرب، يعني تميماً، فرُفض وتُرك، وولّيتُ

---

(١) في فتوح البلدان «٥٤٠».

(٢) في فتوح البلدان «حليشه».

(٣) في الفتوح: «في بطيحة الشدقي».

(٤) في فتوح البلدان «حليشه».

(٥) في الفتوح «كباشاً نطاحة».

(٦) في (ر): «وسك».

(٧) في الفتوح «مرمد».

(٨) في الفتوح «وبروص».

(٩) في (آ) و(ر): أرينه»، و(ب): «أزمن»، وفي نسخة بودليان: «أرين»، والمثبت يتفق مع فتوح البلدان ٥٤١.

(١٠) فتوح البلدان ٥٣٨ ـ ٥٤١.

(١١) فتوح البلدان ٥٤٢.

أيخل العرب فرُضي به، ثم قُتل الحَكَم، وكان العمّال يُقاتلون العدوّ، فكانوا يفتتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الأموية بعد ذلك، إلى أن جاءت الدولة المباركة العبّاسيّة[1]، ونحن نذكر إن شاء الله أيّام المأمون بقيّة أخبار السِنْد.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا العبّاسُ بن الوليد الرومَ ففتح هِرَقْلة وغيرها[2].

وفيها فُتح آخر الهند إلاّ الكَيْرَج والمَنْدل[3].

وفي هذه السنة افتتح العبّاسُ بن الوليد قِنَّسرين[4].

وفيها قُتل الوضاحيُّ بأرض الروم ونحو ألف رجلٍ معه[5].

وفيها وُلد المنصور عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس[6].

وحجّ بالناس هذه السنة بشر[7] بن الوليد بن عبد الملك[8].

وكان عمّال الأمصار مَنْ تقدّم ذكرهم[9].

[الوفيات]

وفيها مات أبو عثمان النَّهْديُّ[10]، اسمه عبد الرحمن بن مَلّ، وكان عمره مائة وثلاثين سنة، وقيل في موته غير ذلك.

---

(١) فتوح البلدان ٥٤٢، ٥٤٣، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٩.

(٢) الطبري ٦/٤٩٢، نهاية الأرب ٢١/٣١٣، البداية والنهاية ٩/١١٦.

(٣) الطبري ٦/٤٩٢.

(٤) هذا الخبر لم يذكره الطبري. وفي تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٢ فتح قبرس ومثله في تاريخ العظيمي ١٩٨، وفي البداية والنهاية ٩/١١٦: وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة في بلاد الروم، ثم حرقها ثم بناها بعد ذلك بعشر سنين، وانظر: تاريخ خليفة ٣٠٧.

(٥) الطبري ٦/٤٩٣، البداية والنهاية ٩/١١٧، تاريخ العظيمي ١٩٨.

(٦) الطبري ٦/٤٩٣.

(٧) في الأوربية: كثير.

(٨) تاريخ خليفة ٣٠٩، المحبّر ٢٦، المعرفة والتاريخ للفسوي ٣/٣٣٦، الطبري ٦/٤٩٣، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٩، تاريخ دمشق ١٠/١٣٢، نهاية الأرب ٢١/٣٣٥، البداية والنهاية ٩/١١٧.

وفي تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩١ حج أبو بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم.

(٩) الطبري ٦/٤٩٤.

(١٠) انظر عن (أبي عثمان النهدي) في:

تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٥٣٥ رقم ٤٧٧ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها مات سعد بن إياس[1] أبو عَمرو الشيبانيُّ، وله مائة وعشرون سنة.

وفي إمارة الحجّاج مات سُفَيْنة[2] مولى رسول الله ﷺ.

وفي هذه السنة مات سالم بن أبي الجَعْد[3].

وفيها مات جعفر بن عَمرو[4] بن أميّة الضَّمْريُّ، وهو أخو عبد الله بن مروان من الرضاعة.

وفي إمارة الحجّاج قُتل أبو الأحوص[5] عَوْف بن مالك بن نَضْلة الجُشَميُّ الكوفيُّ، قتله الخوارج.

---

(١) أنظر عن (سعد بن إياس) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٥٣٧ رقم ٤٧٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن «سُفينة» في:
تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ). ص ٤١١ رقم ١٧٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (سالم بن أبي الجعد) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٦١ رقم ٢٧١. وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (جعفر بن عمرو) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣١٠ رقم ٢٣٠، وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (أبي الأحوص) في:
تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٢٥ رقم ١٧٢ وفيه مصادر ترجمته.

٩٦
ثم دخلت سنة ستّ وتسعين

ذكر فتح قُتَيْبَة مدينة كاشْغَر

وفي هـذه السنة غـزا قُتَيْبَـةُ كـاشغـر، فسـار وحمـل مـع النـاس عيـالاتهم ليضعهم بسَمَرْقَنْد، فلمّا عبر النهرَ استعمل رجلاً على معبر النهـر ليمنع مَنْ يـرجع إلاّ بجـوازٍ منه، ومضى إلى فَرْغانة، وأرسل إلى شِعْب عصامٍ مَنْ يسهّل الـطريق إلى كاشغـر، وهي أدنى مـدائن الصّيـن، وبعث جيشـاً مـع كبيـر بن فلان إلى كـاشغـر، فغنِم وسبى سبْيـاً، فختم أعناقهم، وأوغل حتّى بلغ قريب الصّين.

فكتب إليه ملكُ الصّين: أن ابعثْ رجلاً شريفاً يُخْبرني عنكم وعن دينكم. فانتخب قُتيبة عشرةً لهم جَمَالٌ وأَلْسُنٌ وبأس وعقل وصلاح، فأمر لهم بعدّةٍ حَسَنة ومتـاع حَسَن من الخزّ والوَشْي وغير ذلك وخيول حَسَنة، وكان منهم هُبَيْرة بن مَشْمَرَج الكِلابيّ، فقال لهم: إذا دخلتم عليه فأَعْلِموه أنّي قد حلفتُ أنّي لا أنصرف حتّى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجْبي خراجهم.

فساروا وعليهم هُبَيرة، فلمّا قدِمـوا عليهم دعاهم ملكُ الصّين، فلبسـوا ثيابـاً بياضـاً تحتها الغلائل، وتطيَّبوا ولبِسوا النّعال والأرْدية، ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه، فجلسوا، فلم يكلّمهم الملك ولا أحد ممّنْ عنده، فنهضـوا. فقال الملك لمَنْ حضـره: كيف رأيتم هؤلاء؟ فقالوا: رأينا قوماً ما هم إلاّ نساء، ما بقي منّا أحد إلاّ انتشر ما عنده.

فلمّا كان الغد دعاهم، فلبسوا الوَشْي والعمائمَ الخَزّ والمطارف، وغَدَوا عليـه، فلمّا دخلوا قيل لهم: ارجعوا، وقال لأصحابه: كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالـوا: هذه أشبـه بهيئة الرجال من تلك. فلمّا كان اليوم الثالث دعاهم، فشدّوا سلاحهم ولبسوا البَيْضَ والمغافرَ، وأخذوا السيوفَ والرماح والقسِيّ وركبوا. فنظر إليهم ملكُ الصّين فرأى مثـل الجبل، فلمّـا دنوا ركّزوا رماحهم وأقبلوا مشمّرين، فقيل لهم: ارجعوا، فركبوا خيولهم وأخذوا رمـاحهم ودفعوا خيلهم كأنّهم يتطاردون. فقال الملكُ لأصحابه: كيف ترونهم؟ قالوا: ما رأينـا مثل هؤلاء.

فلمّا أمسى بعث إليهم: أن ابعثوا إليّ زعيمكم. فبعثوا إليه هُبَيْرة بن مشَمْرج، فقال له: قد رأيتم عِظَم مُلْكي، وأنّه ليس أحد منعكم منّي، وأنتم[1] في يدي بمنزلة البيضة في كفيّ، وإني سائلكم عن أمرٍ، فإن لم تَصْدُقوني قتلتُكم. قال: سلْ. قال: لِمَ صنعتم بزيّكم الأوّل اليوم الأوّل والثاني والثالث ما صنعتم؟ قال أمّا زِيّنا اليوم الأوّل فلباسُنا في أهلنا، وأمّا اليوم الثاني فزيُّنا إذا أمنّا أمراءنا، وأمّا الثالث فزيّنا لعدوّنا. قال: ما أحسن ما دبّرتم دهركم، فقولوا لصاحبكم ينصرف، فإنّي قد عرفتُ قلّةَ أصحابه، وإلاّ بعثتُ إليكم مَنْ يُهْلككم. قال: كيف يكون قليل الأصحاب من أوّل خيله في بلادك وآخرها في منابت الزّيتون؟ وأمّا تخويفك إيّانا بالقتل، فإن لنا آجالاً إذا حضرتْ فأكرمها القتل، ولسنا نكرهه ولا نخافه؛ وقد حلف أن لا ينصرف حتّى يطأ أرضَكم، ويختم ملوككم، ويُعْطَى الجزية.

فقال: فإنّا نُخْرجه من يمينه ونبعث ترابَ أرضنا فيطأه، ونبعث إليه ببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجِزية يرضاها. فبعث إليه بهديّة وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثمّ أجازهم فأحسن، فقدِموا على قُتيبة، فقبل قُتيبةُ الجزيةَ، وختم الغلمانَ وردّهم، ووطىء التّراب. فقال سوادة بن عبد الملك السَّلوليّ:

لا عيبَ في الوفد الذين بعثتَهمْ ... للصّين إنْ سلكوا طريقَ المنهجِ

كسروا الجُفون على القَذى خوف الرَّدَى ... حاشا الكريم هُبَيْرةَ بن مُشَمْرَجِ

أدّى رسالتَك التي استرعيتَهُ[2] ... فأتاك من حِنْثِ اليمين بمخرجِ[3]

فأوفد قتيبةُ هُبَيْرةَ إلى الوليد، فمات بقريةَ[4] من فارس، فرثاه سوادةُ فقال:

للّهِ دَرُّ[5] هَبَيْرة بنِ مُشمُرجٍ ... ماذا تضمّن مِنْ نَدىً وجَمالِ

وبديهةٍ يعيا[6] بها أبناؤها ... عند احتفالِ مشاهدِ الأقوالِ

كان الربيعَ إذا السيوف[7] تتابعتْ ... والليثَ عند تَكَعْكع الأبطالِ

---

(١) في الأوربية: «وأنت».

(٢) في الأوربية: «استدعيته».

(٣) في الأوربية: «لمخرج».
والأبيات في تاريخ الطبري ٥٠٣/٦ بزيادة بيت قبل الأخير:
لم يرض غير الختم في أعناقهم ... ورهائنٍ دُفِعت بحمل سَمَرَّجِ

(٤) قرية: اسم موضع.

(٥) في تاريخ الطبري ٥٠٣/٦: «لله قبر».

(٦) في الأوربية: «تعنى».

(٧) في نسخة بودليان، وتاريخ الطبري: «إذا السنون».

فسقى[1] بقريةَ حيث أمسى قبرُهُ غُرٌّ يَرُحْن بمسبلٍ هطّالِ
بكتِ الجيادُ الصافناتُ لفقْدِه وبكاه كلُّ مُثقَّفٍ[2] عسّالِ
وبَكَتْه شُعْثٌ لم يجدنَ مُواسِياً في العام ذي السنوات والإمحال[3]

ووصل الخبرُ إلى قُتيبة في هذه الغَزاة بموت الوليد.

وكان قُتيبة إذا رجع من غَزاته كلّ سنة اشترى اثني عشر فرساً واثني عشر هجيناً، فتحدر إلى وقت الغزو، فإذا تأهّب للغزو ضمّرها وحمل[4] عليها الطلائع، وكان يجعل الطلائع فرسانَ الناس وأشرافهم ومعهم من العجم مَنْ يستنصحه، وإذا بعث طليعةً أمر بلَوحٍ فنُقش، ثمّ شقّه بنصفَيْن، وجعل شقّةً عنده، ويُعطي نصفه الطليعة، ويأمرهم أن يدفنوه في موضعٍ يصفه لهم من شجرة أو مخاضة[5] أو غيرهما، ثمّ يبعث بعد الطليعة من يستَخرجه ليعلم أَصَدَقَت الطّليعة أم لا[6].

وفيها غزا بِشْر بن الوليد الشاتية ورجع وقد مات الوليد[7].

ذكر موت الوليد بن عبد الملك

وفي النصف من جُمادى الآخرة من هذه السنة مات الوليد بن عبد الملك في قول جميعهم، وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، وقيل: تسع[8] سنين وثمانية أشهر، وقيل: وأحد عشر شهراً، وكانت وفاته بدير مُرّان، ودُفن خارج الباب الصغير، وصلّى عليه عمرُ بن عبد العزيز، وكان عمره اثنتَيْن وأربعين سنة وستّة أشهر[9]، وقيل: كان عُمره خمساً وأربعين سنة، وقيل: ستّاً وأربعين سنة وأشهراً، وقيل: تسعاً وأربعين[10]. وخلّف تسعةَ عشر ابناً[11]، وكان دميماً يتبختر في مِشْيته، وكان سائل الأنف جدّاً، فقيل فيه:

---

(١) الطبري: «فسقت».
(٢) في الأوربية: «مشعّف»، وفي نسخة بودليان: «مهند».
(٣) في الأوربية: «الأمجال»، وفي (ب): «العجال».
(٤) في الأوربية: «ويحمل».
(٥) في (ر): «مخاضرته».
(٦) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٦/٥٠٠ ـ ٥٠٤، وانظر: البداية والنهاية ٩/١٤٠ ـ ١٤٢.
(٧) الطبري ٦/٤٩٥، تاريخ خليفة ٣١٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٢.
(٨) في (ب): «سبع».
(٩) في تاريخ الطبري ٦/٤٩٥: وقال عليّ بن محمّد: توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر.
(١٠) الطبري: ويقال إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة. ومثله في الفتوح لابن أعثم ٧/٢٥١.
(١١) ذكر الطبري أسماءهم (٦/٤٩٦).

فـقـدتُ الـولـيـد وأنـفـاً لـه كمثـلِ الفصيـل بـدا أن يبـولا[1]

ولمّـا دُلِّيَ في جنازتـه جُمعت ركبتاه إلى عنقـه، فقال ابنه: أعـاش أبي؟ فقـال لـه عمر بن عبد العزيز، وكان فيمَنْ دفنه: عُوجِل والله أبوك! واتّعظ به عمر[2].

ذكر بعض سيرة الوليد

وكان الوليد عند أهـل الشام من أفضـل خلائفهم، بنى المسـاجد: مسجـد دمشق، ومسجـد المدينـة، على ساكنهـا السلام، والمسجـد الأقصى، ووضع المنـائـرَ، وأعـطى المجذَّمين، ومنعهم من سؤال الناس، وأعطى كل مُقْعَد خادماً، وكلَّ ضرير قـائداً، وفتـح في ولايته فتوحاً عظاماً، منها: الأندلس، وكاشغَر، والهند[3].

وكان يمرّ بـالبقّال فيقف عليـه ويأخـذ منه حـزْمة بَقَـلٍ فيقول: بكم هـذه؟ فيقول: بفلْس. فيقول: زدْ فيها[4].

وكان صاحب بناء واّتخاذ المصانع والضياع، وكان النـاس يلتقون في زمـانه فيسـأل بعضهم بعضاً عن البناء، وكان سليمان صاحب طعام ونكـاح، فكان النـاس يسأل بعضهم بعضاً عن النكاح والطعام، وكان عمر بن عبـد العزيـز صاحب عبـادة، وكان النـاس يسأل بعضهم بعضـاً عن الخيـر مـا وِرْدُك الليلة؟ وكم تحفظ من القـرآن؟ وكم تصـوم مـن الشهر[5]؟

ومرض الوليد مرضةً قبل وفاته وأُغمي عليه، فبقي يومـه[6] ذلك كـأنّه ميت، فبكـوا عليه وسارت البُرُدُ بموته، فاسترجع الحجّاجُ وشدّ في يده حبلاً إلى أُسطوانة وقـال: اللهمّ لا تسلّط عليّ مَنْ لا رحمة له، فقد طال ما سألتُك أن تجعل منيتي قبله! فإنّه كذلك يدعو إذ قـدِم عليه البـريد بـإفاقتـه. ولمّا أفـاق الوليـدُ قال: مـا أحد أشدّ سـروراً بعـافيتي من الحجّاج؛ ثمّ لم يمتْ حتّى ثَقُلَ[7] الحجّاجُ عليه.

وكان الوليد أراد أن يخلع أخاه سليمـان ويبايـع لولـده عبد العـزيز، فـأبى سليمان،

---

(١) في الطبعة الأوربية: «كمثل الفصيل بأن يبولا».

(٢) تاريخ دمشق (مخطوط الظاهرية) ١٧/ ٤٢٠ أ.

(٣) الطبري ٦/٤٩٦، تاريخ مختصر الدول ٢١٣.

(٤) الطبري ٦/٤٩٦، تاريخ مختصر الدول ١١٣، نهاية الأرب ٢١/ ٣٣٧.

(٥) الطبري ٦/٤٩٧، العيون والحدائق ٣/١١، ١٢، آثار الأُوَل في ترتيب الدول للعباسي ١١٩.

(٦) في الأوروبية «نومه».

(٧) في طبعة صادر ٥/ ١٠ «قفل»، والتصحيح من: تاريخ الطبري ٦/٤٩٧.

فكتب إلى عُمّاله ودعا الناسَ إلى ذلك، فلم يُجبْهُ إلّا الحجّاج وقُتَيْبة وخواصّ من الناس، فكتب الوليدُ إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه، فأبطأ، فعزم الوليد على المسير إليه ليخلعه، وأخرج خِيَمَه، فمات قبل أن يسير إليه[١].

ولمّا أراد أن يبني مسجد دمشق كان فيه كنيسة، فهدمها وبناها مسجداً، فلمّا وليَ عمرُ بن عبد العزيز شَكَوا إليه ذلك، فقال لهم عمر: إنّ ما كان خارج المدينة فُتح عَنوةً، ونحن نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما، فإنّها فُتحت عَنوةً ونبنيها مسجداً. فقالوا: بل نَدَع لكم هذا ودَعوا كنيسة توما[٢].

وكان الوليد لحّاناً لا يُحْسن النحوَ، دخل عليه أعرابيّ فمتّ إليه بصهر بينه وبين قرابته، فقال له الوليد: مَنْ خَتَنَك؟ بفتح النون، وظنّ الأعرابيّ أنّه يريد الختان، فقال: بعض الأطبّاء. فقال له سليمان: إنّما يريد أمير المؤمنين من خَتَنُك؟ وضمّ النّون. فقال الأعرابيّ: نعم فلان، وذكر ختنه. وعاتبه أبوه على ذلك وقال: إنّه لا يلي العربَ إلّا مَنْ يُحْسن كلامهم. فجمع أهلَ النَّحْو، ودخل بيتاً فلم يخرج منه ستّة أشهر، ثمّ خرج وهو أجهل منه يومَ دخل. فقال عبد الملك: قد أَعذر[٣]. فقيل: إنّه لمّا وليَ الخلافة [كان] يختم القرآن في كلّ ثلاث، وكان يقرأ في رمضان كلّ يوم[٤] ختمة، وخطب يوماً فقال: يا ليتها كانت القاضيةُ، وضمّ التّاء، فقال عمر بن عبد العزيز: عليك وأراحتْنا منك[٥].

ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك وبيعته

وفي هذه السنة بويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الّذي توفّي فيه الوليد وهو بالرملة[٦].

وفيها عزل سليمانُ بن عبد الملك عثمانَ بن حيّان عن المدينة لسبعٍ بقين من رمضان، واستعمل عليها أبا بكر بن محمّد بن حزم، وكان عثمان قد عزم على أن يجلد أبا بكر ويحلق لحيته من الغد، فلمّا كان الليل جاء البريد إلى أبي بكر بتأميره وعزل عثمانَ وحَدِّه، [وأن] يقيّده[٧].

---

(١) الطبري ٦/٤٩٨، ٤٩٩، نهاية الأرب ٢١/٣٣٧، ٣٣٨.
(٢) الطبري ٦/٤٩٩.
(٣) في فوات الوفيات ٤/٢٥٤، نهاية الأرب ٢١/٣٣٨، البداية والنهاية ٩/١٦١، وانظر: المختصر في أخبار البشر ١/١٩٩، وتاريخ الخلفاء ٢٢٣.
(٤) في (ر): «يومين».
(٥) البداية والنهاية ٩/١٦٤، وانظر: تاريخ الخلفاء ٢٢٣.
(٦) الطبري ٦/٥٠٥.
(٧) الطبري ٦/٥٠٥، نهاية الأرب ٢١/٣٤٣.

وفيها عزل سليمانُ يزيدَ بن أبي مسلم عن العراق، واستعمل يزيد بن المهلّب. وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج، وأمره بقتل بني عَقيل وبسْط العذاب عليهم، وهم أهل الحجّاج، فكان يعذّبهم ويلي عذابهم عبد الملك بن المهلّب، وكان يزيد بن المهلّب قد استعمل أخاه زياداً على حرب عثمان[1].

ذكر مقتل قُتَيْبة

قيل: وفي هذه السنة قُتل قتيبة بن مسلم الباهليّ بخُراسان.

وكان سبب قتله أنّ الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان من ولاية العهد، ويجعل [بَدَله] ابنَه عبد العزيز، فأجابه إلى ذلك الحجّاج وقُتيبة على ما تقدّم. فلمّا مات الوليدُ ووليَ سليمان خافه قُتيبة، وخاف أن يولّي سليمانُ يزيدَ بن المهلّب خُراسان، فكتب قُتيبةُ إلى سليمان كتاباً يُهنّئه بالخلافة، ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد، وأنّه له على مثل ذلك إن لم يعزله عن خُراسان، وكتب إليه كتاباً آخر يُعْلمه فيه فتوحَه ونكايته، وعِظَمَ قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم، وعِظَم صولته[2] فيهم، ويذمّ أهل المهلّب، ويحلف بالله لئن استعمل يزيدَ على خُراسان ليخلعنّه. وكتب كتاباً ثالثاً فيه خَلْعُه، وبعث الكتبَ مع رجلٍ من باهلة، فقال له: ادفعِ الكتابَ الأوّل إليه، فإنْ كان يزيد حاضراً فقرأه ثمّ ألقاه إلى يزيد فادفعْ إليه هذا الثاني، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فادفعْ إليه هذا الثالث، فإن قرأ الكتاب الأوّل ولم يدفعه إلى يزيد فاحبِس الكتابَيْن الآخرَيْن.

فقدِم رسول قُتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلّب، فدفع إليه الكتابَ، فقرأه وألقاه إلى يزيد، فدفع إليه الكتاب الآخر فقرآه وألقاه إلى يزيد، فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغيّر[3] لونه وختمه وأمسكه[4] بيده[5].

وقيل: كان في الكتاب الثالث: لئن لم تُقِرَّني على ما كنتُ عليه وتُؤمنّي لأخلعنّك، ولأملأنّها عليك رجالاً وخيلاً[6].

---

(١) الطبري ٦/٥٠٦، نهاية الأرب ٢١/٣٤٣.

(٢) في الأوربية: «صوته»، وكذا في تاريخ الطبري ٦/٥٠٧.

(٣) الطبري ٦/٥٠٨: «فتمعّر».

(٤) في الأوربية: «وأمسك».

(٥) الطبري ٦/٥٠٧، ٥٠٨، نهاية الأرب ٢١/٣٣٨، ٣٣٩.

(٦) الطبري ٦/٥٠٨: «خيلاً ورجالاً»، وفي نهاية الأريب ٢١/٣٣٩: «ورَجْلاً».

ثمّ أمر سليمانُ برسول قُتيبة، فأنزل، فأحضره ليلاً فأعطاه دنانير جائزته، وأعطاه عهد قُتيبة على خُراسان، وسيّر معه رسولاً بذلك، فلمّا كانا[1] بحُلْوان بلغهما خلْع قُتيبة، فرجع رسول سليمان[2].

وكان قُتيبة لمّا همّ بخلع سليمان استشار إخوته، فقال له أخوه عبد الرحمن: اقطعْ بعثاً فوجّهْ فيه كلّ مَنْ تخافه، ووجّهْ قوماً إلى مَرْو، وسِرْ حتّى تنزل سَمَرْقَنْد، وقلْ لمَنْ معك: مَنْ أحبّ المُقام فله المواساة[3]، ومَنْ أراد الإنصراف فغير مُسْتَكْرَه[4]، فلا يقيم عندك إلاّ مناصح، ولا يختلف عليك أحد.

وقال له أخوه عبد الله: اخلعْه مكانك، فلا يختلف عليك رجلان. فخلع سليمان مكانه، ودعا الناسَ إلى خلعه، وذكر أثره فيهم وسوء أثر مَنْ تقدّمه، فلم يُجبْه أحد، فغضب وقال: لا أعزّ اللّهُ مَنْ نصرتم! ثمّ والله اجتمعتم على عَنْزٍ ما كسرتم قرنها! يا أهل السافلة، ولا أقول يا أهل العالية، أوباش[5] الصدقة (جمعتكم كما تُجمع إبلُ الصدقة)[6] من كلّ أوْب! يا معشر بكر بن وائل! يا أهل النفخ والكذِب والبُخل! بأيّ يومَيْكم تفخرون؟ بيوم حربكم، أو بيوم سلمكم! يا أصحاب مُسَيْلمة! يا بني ذميم؛ ولا أقول تميم! يا أهل الجور والقصف، كنتم تسمّون الغدر في الجاهليّة كَيْسان[7]! يا أصحاب سَجاح! يا معشر عبد القيسِ القُساة، تبدّلتم بتأبير النخل[8] أعِنّةَ الخيل! يا معشر الأزد، تبدّلتم بقُلُوس[9] السفن أعِنّة الخيل[10]! إنّ هذا بدعة في الإسلام، الأعراب، وما الأعراب! لعنة الله عليهم! يا كناسة المصرَيْن، جمعتُكم من منابت الشيّح والقَيْصوم[11] تركبون البقر والحُمُر، فلمّا جمعتكم قلتم: كَيْت وكَيْت! أما واللّهِ إنّي لابن أبيه، وأخو

(١) في الأوربية وتاريخ الطبري: «فلما كان».

(٢) الطبري ٦/٥٠٨.

(٣) في طبعة صادر ١٣/٥ «فله المراسلة»، والتصحيح من الطبري ونهاية الأرب.

(٤) في (ب): «مسكنه.

(٥) الطبري ٦/٥٠٩: «يا أوباش».

(٦) ما بين القوسين من «ر».

(٧) في الأوربية: «لميسان».

(٨) الطبري ٦/٥١٠: «تبدّلتم بأبرْ النَّحل». وتأبير النخل: إصلاحه.

(٩) القُلُوس: جمع قلس، وهو حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما من قلوس سفن البحر.

(١٠) الطبري ٦/٥١٠، «أعنّة الخيل الحُصُن».

(١١) في طبعة صادر ١٤/٥: «القيصرم».

أخيه! والله لأعصبنّكم عصب السَّلمة[1]! إنّ حول الصِّلّيان[2] لزمزمة[3]! يا أهل خُراسان أتدرون[4] مَنْ وليكم؟ [وليكم] يزيد بن ثروان[5]. كأنّي بأمير جاءكم فَغَلَبكم على فَيْئكم وظلالكم[6]! ارموا غرضكم القصيّ[7]! حتّى متى يتبطّح أهل الشام بأفنيتكم! يا أهل خُراسان انسِبُوني تجدوني عراقيّ الأم والمولد والرأي والهوى والدّين، وقد أصبحتم فيما ترون من الأمن والعافية! قد فتح اللّهُ لكم البلاد، وآمن سُبُلَكم، فالظعينة[8] تخرج من مَرْو إلى بلْخ بغير جَواز، فاحمدوا الله على العافية، واسألوه الشكر والمزيد[9].

ثمّ نزل فدخل بيته، فأتاه أهلُه وقالوا: ما رأيناك كاليوم قطّ؛ ولاموه. فقال: لمّا تكلّمتُ فلم يُجبْني أحد غضبتُ، فلم أدرِ ما قلتُ. وغضب الناسُ، وكرهوا خلع سليمان، فأجمعوا على خلع قُتيبة وخلافه، وكان أوّل من تكلّم الأزْد، فأتوا حُضَيْن بن المُنْذر (بضاد معجمة)، فقالوا: إنّ هذا قد دعا إلى خلع الخليفة وفيه فساد الدّين والدنيا وقد شتمَنَا، فما ترى؟ فقال: إنّ مُضَر بخُراسان كثيرة، وتميم أكثرها، وهم فرسان خُراسان، ولا يرضَوْن أن يصير الأمر في غير مُضَر، فإن أخرجتموهم منه أعانوا قُتيبة. فأجابوه إلى ذلك وقالوا: مَنْ ترى من تميم؟ قال: لا أرى غير وَكيع. فقال حيّان النّبطيّ مولى بني شيبان: إنّ أحداً لا يتولّى هذا غير وَكيع، فيصْلَى بَحرّه، ويبذل دمه، ويتعرّض للقتل، فإنْ قدِم أميرٌ أخذه بما جَنَى، فإنّه لا ينظر في عاقبة، وله عشيرةٌ تُطيعه، وهو موتورٌ يطلب قُتيبةَ برياسته الّتي[10] صرفها عنه وصيّرها لضِرار بن حُصَين[11] الضّبّيّ. فمشى الناسُ بعضهم إلى بعض سرّاً.

وقيل لقتيبة: ليس يُفْسد أمرَ الناس إلاّ حيّان، فأراد أن يغتاله، وكان حيّان يلاطف

---

(١) في الأوربية: «لأعصبنّكم عضب السلم».

(٢) في الأوربية «الصلبان». والصِّلّيان: نبت من أفضل المرعى، يُختَلَى للخيل التي لا تفارق الحيّ.

(٣) في تاريخ الطبري: «الصليان الزمزمة»، وفي مجمع الأمثال للميداني ٢٠٦/١: «ويروى: حول الصلبان الزمزمة» جمع صليب، والزمزمة: صوت عُبّادهَا. والمثلُ يُضرب لمن يحوم حول الشي لا يُظهر مرامه.

(٤) في الأوربية: «تغدرون».

(٥) في طبعة صادر ١٤/٥ «مروان» وهو وهْم.

(٦) الطبري: «أظلالكم».

(٧) الطبري: «الأقصى».

(٨) في الأوربية: «الضعينة».

(٩) البيان والتبيين ١٣٢/٢ ـ ١٣٥، الطبري ٥٠٩/٦ ـ ٥١١، وانظر: نهاية الأرب ٣٤٠/٢١، والفتوح لابن أعثم ٢٦١/٧ ـ ٢٦٣، واليعقوبي ٢٩٥/٢.

(١٠) في الأوربية: «إلى».

(١١) في (ب): «حصن».

خَدَم الوُلاة، فدعا قُتيبة رجلاً فأمره بقتل حيّان، وسمع بعض الخَدَم فأتى حيّانَ فأخبره، فلمّا جاء رسوله يدعوه تمارَض. وأتى الناسُ وَكيعاً وسألوه أن يليَ أمرهم، ففعل.

وبخُراسان يومئذٍ من أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف، ومن بكر سبعة آلاف، ورئيسهم حُضَيْن بن المنذر، ومن تميم عشرة آلاف، وعليهم ضِرار بن حُصَين، وعبد القيس أربعة آلاف، وعليهم عبد الله بن عُلْوان، والأزْد عشرة آلاف، وعليهم عبد الله بن حوذان[١]، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف، وعليهم جَهْم بن زَحْر، والموالي سبعة آلاف، عليهم حيّان، وهو من الدَّيلم، وقيل: من خُراسان، وإنّما قيل له نَبَطيّ لِلُكْنَتِه.

فأرسل حيّان إلى وكيع: إن أنا كففتُ عنك وأعنتُك أتجعل لي الجانب الشرقيّ من نهر بلْخ [و] خراجه ما دمتُ حيّاً، وما دمتَ أميراً؟ قال: نعم. فقال حيّان للعجم: هؤلاء يقاتلون على غير دِين، فدَعوهم يقتل بعضهم بعضاً. ففعلوا فبايعوا وَكيعاً سرّاً.

وقيل لقُتيبة: إنّ الناس يبايعون وكيعاً. فدسّ ضِرارَ بن سِنان الضّبيَّ إلى وكيع، فبايعه سرّاً، فظهر لقُتيبة أمره، فأرسل يدعوه، فوجده قد طلى رِجْلَيْه بمَغْرة، وعلّق على رأسه حرزاً[٢]، وعنده رجلان يَرْقِيان رِجْله، فقال للرسول: قد ترى ما بِرِجْلي. فرجع فأخبر قُتيبة، فأعاده إليه يقول له: لتأتينّي محمولاً. قال: لا أستطيع. فقال قُتيبة لصاحب شرطته: انطلقْ إلى وَكيع فأتِني به، فإن أبى فاضربْ عنقه، ووجّه معه خيلاً، وقيل: أرسل إليه شُعْبَة بن ظُهَيْر التّميميّ، فقال له وكيع: يا ابن ظُهَير، البث قليلاً تلحق[٣] الكتائب، ولبس سلاحه ونادى في الناس، فأتوه، وركب فرسه وخرج، فتلقّاه رجل، فقال: ممّنْ أنت؟ قال: من بني أسد. قال: ما اسمك؟ قال: ضرغامة. قال: ابن مَنْ؟ قال: ابن ليث، فأعطاه رايته، وقيل كانت مع عُقْبَة بن شِهاب المازنيّ. وأتاه الناس أرسالاً من كلّ وجه، فتقدّم بهم وهو يقول:

قَرْم[٤] إذا حُمّل مكروهةً ... شدّ الشراسيفَ[٥] لها والحزيمْ[٦]

واجتمع إلى قُتيبة أهلُ بيته وخواصُّ أصحابه وثِقاتُه، منهم إياس بن بَيْهس بن

---

(١) أنظر: الفتوح لابن أعثم ٢٦٨/٧.

(٢) في تاريخ الطبري ٥١٣/٦: «وعلى ساقه خرزاً» وفي الفتوح لابن أعثم ٢٦٩/٧: «وعلّق على ساقيه خرزاً».

(٣) في (ب): «الحق».

(٤) في الأوربية: «قوم».

(٥) في الأوربية: «الشرى سيف». والشراسيف أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.

(٦) الحزيم: موضع الحزام من الصدر والظهر.

عَمْرو، وهو ابن عمّ قُتيبة، فأمر قتيبة رجلاً فنادى: أين بنو عامر؟ فقال له محقّر[١] بن جَزْء العلائيّ[٢]، وهو قيسيّ أيضاً، وكان قُتيبة قد جفاهم: نادِهِمْ حيث وضعتَهم. قال قُتيبة: نادِ: أذكِّرُكُمُ اللّهَ والرَّحِم. قال محقّر[٣]: أنت قطعتَها. قال: نادِ: لكم العُتْبى[٤]. قال محقّر: لا أقالنا الله إذَنْ؛ فقال قتيبة عند ذلك:

يا نفسِ صبراً على ما كان من ألمٍ ... إذ لم أجدْ لفُضول العيش[٥] أقرانا[٦]

ودعا بِبِرْذَونٍ له مدرَّب ليركبه، فجعل يمنعه حتّى أعيا. فلمّا رأى ذلك عاد إلى سريره فجلس عليه وقال: دَعوه، إنّ هذا أمر يُراد. وجاء حيّان النبطيّ في العجم وقتيبة واجدٌ عليه، فقال عبد الله أخو قتيبة لحيّان: احمل عليهم. فقال حيّان: لم يأنِ بعدُ. فقال عبد الله: ناولْني قوسي. فقال حيّان: ليس هذا بيوم قوس. وقال حيّان لابنه: إذا رأيتَني قد حوّلتُ قَلَنْسُوَتي ومضيتُ نحو عسكر وَكيع، فمِلْ بمَنْ معك من العجم إليّ.

فلمّا حوّل حيّان قَلَنْسُوَته مالت الأعاجمُ إلى عسكر وكيع وكبّروا. فبعث قُتيبةُ أخاه صالحاً إلى الناس، فرماه رجل من بني ضَبّة، وقيل: من بَلْعَم، فأصاب رأسه، فحُمل إلى قُتيبة ورأسه مائل، فوُضع في مُصَلاه، وجلس قُتيبة عنده ساعة[٧].

وتهايج الناسُ، وأقبل عبد الرحمن أخو قُتيبة نحوهم، فرماه أهلُ السوق والغوغاء فقتلوه، وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابّه، ودنوا منه. فقاتل عنه رجلٌ من باهلة، فقال له قُتيبة: انجُ بنفسك. فقال: بئس ما جزيتُك إذاً، وقد أطعمتَني الجَرْدَق[٨] وألبستَني النُّرْمق[٩]. وجاء الناسُ حتّى بلغوا فسطاطه فقطعوا أطنابه، وجُرح قتيبة جراحات كثيرة، فقال جَهْم بن زَحْر بن قيس لسعد: انزِلْ فخُذْ رأسه، فنزل سعد فشق الفُسطاط واحتزّ رأسه، وقُتل معه من أهل إخوته: عبد الرحمن، وعبد الله، وصالح، وحُصَيْن،

---

(١) الطبري ٦/٥١٤: «محفن».

(٢) في (ر) والطبري: «الكلابي».

(٣) الطبري: «محفن».

(٤) في الأوربية: «العقبى»، ومثلها في العيون والحدائق ٣/١٩.

(٥) الطبري ٦/٥١٤: لفضول القوم».

(٦) البيت في الفتوح لابن أعثم ٧/٢٧٢:

يا قومِ صبراً على ما كان من مضضْ ... إذ لم أجد لعُتاة القوم أقرانا

وأضاف بيتاً آخر (٧/٢٧٣):

لو كان قومي أحراراً لقد منعوا ... سلوى بطائر عنه الناس خذلانا

(٧) الفتوح لابن أعثم ٧/٢٧٣.

(٨) في الأوربية: الجردوق. (والجردق: الرغيف، فارسيّة)، وفي الفتوح ٧/٢٧٥: «الجرمق».

(٩) في الأوربية النمرق. (والنُّرمق: الليّن، فارسيّة). وفي الفتوح: «النرمق».

وعبد الكريم، ومسلم، وقُتل كَثير ابنه، وقيل: قُتل عبد الكريم بقَزْوين.

وكان عدّة مَنْ قُتل مع قُتيبة من أهل بيته أحد عشر رجلاً، ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة، نجّاه أخواله. وكانت أمّه الغبراء[1] بنت ضِرار بن القَعْقاع بن مَعْبد بن زُرارة القيسيّة. فلمّا قُتل قتيبة صعِد وكيع المنبر فقال: مَثَلي وَمَثَلُ قُتيبةَ كما قال الأوّل:

مَنْ يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نَيّاكا

أراد قتيبةُ قتلي وأنا قتّال:

قد جرّبوني ثمّ جرّبوني	من غلوتَيْن ومن المئينِ[2]
حتّى إذا شبتُ وشيّبوني	خلّوا عِناني وتنكّبوني

أنا أبو مُطَرّف! ثمّ قال:

أنا ابن خِنْدِفَ تَنْميني[3] قبائلُها	بالصالحات[4] وعمّي قَيسُ عَيْلانا

ثم أخذ بلِحْيته فقال:

شيخٌ إذا حُمِّلَ مكروهةً	شدّ الشَّراسيفَ[5] لها والحَزيمْ

والله لأقتلنّ ثمّ لاقتلنّ! ولأصَلّبنّ ثمّ لأصَلّبنَ! إن مرزبانكم هذا ابن الزّانية قد أغلى أسعاركم! والله ليُصيِّرنّ[6] القفيز بأربعة دراهم أو لأصلّبنّه! صلوا على نبيّكم. ثمّ نزل، وطلب وكيع رأس قُتيبة وخاتمه، فقيل له: إنّ الأزْد أخذته. فخرج وكيع مُشْهِراً وقال: واللّهِ الذي لا إلَهَ إلاّ هو، لا أبرح حتّى أُوتَى بالرأس، أو يذهب رأسي معه. فقال له حُضَيْن: اسكُنْ يا أبا مطرّف، فإنّك تُؤْتَى به[7]. وذهب حُضَين إلى الأزْد، وهو سيّدهم، فأمرهم بتسليم الرأس إلى وكيع، فسلّموه إليه، فسيّره إلى سليمان مع نفرٍ ليس فيهم تميميّ، ووفى وكيعُ لحيّان النَبَطيّ بما كان ضمِن له.

فلمّا أتي سليمان برأس قُتيبة ورؤوس أهله كان عنده الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث،

---

(١) الطبري ٦/٥١٦ «الغرّاء».

(٢) في الأوربية: «المائتين».

(٣) في الأوربية: «تمنيني».

(٤) الطبري ٦/٥١٨: «للصالحات».

(٥) في الأوربية: «الشرى سيف».

(٦) في الأوربية: «ليضربنّ».

(٧) الفتوح لابن أعثم ٧/٢٧٦.

فقال له: هل ساءك هذا يا هُذَيل؟ فقال: لو ساءني لساء قوماً كثيراً. فقال سليمان: ما أردتُ هذا كلّه. وإنّما قال سليمان هذا للهُذَيل لأنّه هو وقُتيبة من قيس عَيْلان؛ ثمّ أمر بالرؤوس فدُفنت. ولمّا قُتل قُتيبة قال رجل من أهل خُراسان: يا معشر العرب قتلتم قُتيبة، واللهِ لو كان منّا فمات لجعلناه في تابوت، فكنّا نستسقي به ونستفتح به إذا غَزَوْنا، وما صنع أحد بخُراسان قطّ ما صنع قُتيبة، إلاّ أنّه غدر، وذلك أنّ الحجّاج كتب إليه: أن اختلْهم[1] واقتلْهم لله[2].

وقال الأصبهبذ[3]: قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلّب وهما سيّدا العرب. قيل له: أيّهما كان أعظم عندكم وأهْيب؟ قال: لو كان قتيبة بأقصى جُحْر في الغرب مكبّلاً ويزيد معنا في بلادنا والٍ علينا، لكان قُتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد[4]. وقال الفرزدق في ذلك:

أتاني ورَحْلي في المدينة وقعةٌ … لآل تميم أقعدتْ كلّ قائم[5]

وقال عبد الرحمن بن جُمانة الباهليّ يرثي قتيبة:

كأنّ أبا حفصٍ قتيبةَ لم يَسِرْ … بجيشٍ إلى جيش ولم يَعْلُ مِنبرا
ولم تَخْفِقِ الراياتُ والجيش[6] حوله … وقوفٌ ولم يشهدْ له الناسُ عسكرا
دَعَتْه المنايا فاستجاب لربّه … وراح إلى الجنّات عَفّاً مطهّرا
فما رُزِيء الإسلامُ بعد محمّدٍ … بمثل أبي حفصٍ فبكّيه عَبهرا[7]

وعَبْهَر: أمّ ولدٍ له. قيل: وقال شيوخ من غسّان: كنّا بثنيّة العُقاب، إذا نحن برجلٍ معه عصاً وجِراب، قلنا: من أين أقبلتَ؟ قال: من خُراسان. قلنا: هل كان بها من خبر؟ قال: نعم، قُتل بها قُتيبة بن مسلم أمس. فعجِبْنا لقوله، فلمّا رأى إنكارنا قال: أين

---

(١) في الأوربية: «احتلهم».
(٢) الطبري ٦/٥٠٦ ـ ٥١٩، وانظر: نهاية الأرب ٢١/٣٣٨ ـ ٣٤٢.
(٣) الأصبهبذ: اسم يُطلق على كل من يتولّى بلاد طبرستان. (انظر معجم البلدان ٤/١٤، ١٥)، وهو أمير الأمراء، وتفسيره حافظ الجيش، لأن الجيش «اصبه» و«بذ» حافظ وهذه ثالثة المراتب العظيمة عند الفرس. (التنبيه والإشراف ٩١).
(٤) الطبري ٦/٥١٩.
(٥) البيت في الفتوح لابن أعثم ٧/٢٧٨.
(٦) الطبري: «والقوم».
(٧) الطبري ٦/٥٢١،، نهاية الأرب ٢١/٣٤٢.

يـروني[1] الليلة من إفـريقيـة؟ وتـركَنـا ومضى، فـاتبعنـاه على خيـولنـا، فـإذا هــو يسبق الطّرْف[2].

ذكر عدّة حوادث

قيل: وفي هذه السنة مات قُرّة بن شَريـك العَبْسيّ[3] أمير مصـر في صفر، وقيـل: مات سنة خمسٍ وتسعين في الشهر الّذي مات فيه الحجّاج[4].

وحـجّ بـالنـاس هـذه السنـة أبـو بَكـر[5] بن محمّـد بن عَمـرو بن حَـزْم، وهـو أميـر المدينة[6].

وكان على مكّة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد (بفتح الهمزة وكسر السين). وعلى حرب العراق وصلاتها: يزيد بن المهلّب. وعلى خراجها: صالح بن عبد الرحمن. وعلى البصرة: سُفيان بن عبد الله الكنديّ من قِبَل يزيد بن المهلّب. وعلى قضائها: عبد الرحمن بن أُذينة. وعلى قضاء الكوفة: أبو بكر بن أبي موسى. وعلى حرب خراسان: وَكيع بن أبي سُود[7].

[الوفيات]

وفيها مات شُرَيْح القاضي[8]، وقيل سنة سبعٍ وتسعين، وله مائة وعشرون سنة.

وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بَكرة[9].

---

(١) الطبري: «ترونني».

(٢) الطبري ٦/٥٢٠، نهاية الأرب ٢١/٣٤٣.

(٣) في الأوربية: «القيسي».

(٤) الـطبري ٦/٥٢٢، وفي وُلاة مصـر للكندي ٨٦ والـولاة والقضاة، لـه ١٥ توفي ليلة الخميس لستٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين.
وانظر عنه: تاريخ الإسلام للذهبي (بتحقيقنا) (حـوادث ووفيات ٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٤٥٦ رقم ٣٧٧، وفيـه مصادر ترجمته بالحاشية (١).

(٥) في طبعة صادر ٥/٢٠ «أبو بكرة» وهو وهْمَ.

(٦) المحبّـر لابن حبيب ٢٦، تاريخ خليفة ٣١٣، تـاريـخ اليعقـوبي ٢/٣٠٠، تاريـخ الطبـري ٦/٥٢٢، مروج الذهب ٤/٣٩٩، نهاية الأرب ٢١/٣٤٣، البدايـة والنهايـة ٩/١٦٩، النجوم الـزاهرة ١/٢٣٤، وفي تـاريخ العظيمي ١٩٩: «وعزل خالد القسري عن مكة ووليها طلحة بن داود، وحج بالناس ثم عُزل»!

(٧) الطبري ٦/٥٢٢، نهاية الأرب ٢١/٣٤٣، ٣٤٤.

(٨) أنظر عن (شُرَيـح القاضي) في: تـاريخ الإسـلام (٦١ ـ ٨٠ هـ). ـ ص ٤١٩ ـ ٤٢٣ رقم ١٨٣ وفيه مصـادر ترجمته، ووفاته سنة ٧٨ أو سنة ٨٠ هـ.

(٩) أنظر عن (عبد الرحمن بن أبي بكرة) في: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٤١٠، ٤١١ رقم ٣٢٧ وفيه مصادر ترجمته.

ومحمود بن لَبيد الأنصاري [1]، وله صُحبة.

وفي ولاية الوليد مات عبد الله بن مُحَيْريز [2]، قيل له صُحبة [3].

وأبو سعيد المَقْبُريّ [4]، كان يسكن المقابر فنُسب إليها.

وفيها توفّي إبراهيم بن يزيد النَّخَعيّ الفقيه [5].

وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف [6]، وله خمسٌ وسبعون سنة.

وفيها توفّي عبد الله بن عَمْرو [7] بن عثمان بن عفّان [8] في أيّام الوليد بن عبد الملك.

وفيها توفي محمّد بن أُسامة [9] بن زيد بن حارثة.

وعبّاس بن سهل بن سعد الساعديّ [10].

---

(١) أنظر عن (محمود بن لبيد) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤٧٣ رقم ٤٠٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «محيزيز».

(٣) أنظر عن (عبد الله بن محيريز) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٠٧ - ٤٠٩ رقم ٣٢٢.

(٤) واسمه «كَيْسان»، أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٥٢١ رقم ٤٦١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (إبراهيم بن يزيد) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٧٩ - ٢٨٣ رقم ٢٠٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (إبراهيم بن عبد الرحمن) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٧٨، ٣٧٩، رقم ٢٠٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) في طبعة صادر ٥/٢١ «عمر» وهو وهْم، والتصويب من مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٠٣ رقم ٣١٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) أنظر عن (محمد بن أسامة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٦٥، ٤٦٦ رقم ٣٨٩ وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) أنظر عن (عباس بن سهل) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٩٨ رقم ٣٠٣، و(١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٣٩٣ رقم ٤٤٧ وفيهما مصادر ترجمته.

٩٧
ثم دخلت سنة سبْعٍ وتسعين

ذكر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر

وكان سبب قتله أنّ أباه استعمله على الأندلس، كما ذكرنا، عند عوده إلى الشام، فضبطها وسدّد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيّراً فاضلاً، وتزوّج امرأة رُذريق[١]، فحظيت عنده وغلبت عليه، فحملته على أن يأخذ أصحابه ورعيّته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يُفْعَل لزوجها رُذريق[١]. فقال لها: إنّ ذلك ليس في ديننا. فلم تزل به حتّى أمر ففُتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه، فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع، فرضيت به، فصار كالسجود عندها، فقالت له: الآن لحقتَ بالملوك، وبقي أن أعمل لك تاجاً ممّا عندي من الذهب واللؤلؤ، فأبى، فلم تزل به حتّى فعل. فانكشف ذلك للمسلمين، فقيل: تنصّر، وفطِنوا للباب، فثاروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبعٍ وتسعين[٢].

وقيل: إنّ سليمان بن عبد الملك بعث إلى الجُند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نُصَيْر، فدخلوا عليه وهو في المحراب، فصلّى الصبح وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة[٣]، فضربوه بالسيوف ضربةً واحدة، وأخذوا رأسه فسيّروه إلى سليمان، فعرضه سليمان على أبيه، فتجلّد للمصيبة وقال: هنيئاً له بالشهادة، فقد قتلتموه واللّهِ صوّاماً قوّاماً[٤]. وكانوا يعدّونها من زلّات سليمان. وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمانٍ وتسعين في آخرها.

ثم إنّ سليمان ولّى الأندلسَ الحُرّ بن عبد الرحمن الثَّقَفيّ، فأقام والياً عليها إلى أن

---

(١) في نهاية الأرب ٢٤/٥٥ «لذريق».

(٢) في نهاية الأرب ٢٤/٥٥: آخر سنة تسع وتسعين. والمثبت يتفق مع: فتوح مصر لابن عبد الحكم ٢١٣، وتاريخ الطبري ٦/٥٢٣، والحلّة السيراء لابن الأبار ٢/٣٣٤، والبيان المغرب لابن عذاري ٢/٣١.

(٣) في نهاية الأرب ٢٤/٥٥ «ثم قرأ الحاقة».

(٤) الحلّة السيراء ٢/٣٣٤.

استخلف عمر بن عبد العزيز فعزله[1]، هذا آخر ما أردنا ذكره من قتل عبد العزيز على سبيل الإختصار.

وفيها عزل سليمانُ بن عبد الملك عبدَ الله بن موسى بن نُصَيْر عن إفريقية، واستعمل عليها محمّد بن يزيد القرشيّ[2]، فلم يزل عليها حتّى مات سليمان فعُزل، فاستعمل عمرُ بن عبد العزيز مكانه إسماعيلَ بن عُبيد الله سنة مائة، وكان حَسَن السيرة، فأسلم البربر في أيّامه جميعهم[3].

ذكر ولاية يزيد بن المهلّب خُراسان

وكان السبب في ذلك أنّ سليمان بن عبد الملك لمّا ولّى يزيدَ العراقَ فوّض إليه حربها والصلاة بها وخراجها، فنظر يزيد لنفسه وقال: إنّ العراق قد أخربها الحجّاج، وأنا اليوم رجل أهل العراق، ومتى قدِمْتُها وأخذتُ الناسَ بالخراج وعذّبتُهم على ذلك صرتُ مثل الحجّاج، وأعدتُ عليهم السجونَ، وما عافاهم اللّهُ منه، ومتى لم آت سليمانَ بمثل ما كان الحجّاج أتى به لم يقبل منّي. فأتى يزيدُ سليمانَ وقال: أدلّك على رجل بصير بالخراج تولّيه إيّاه؟ قال: نعم. قال: صالح بن عبد الرحمن مولى [بني] تميم، فولاّه الخراج وسيّره قبل يزيد، فنزل واسطاً. وأقبل يزيد، فخرج الناسُ يتلقّونه، ولم يخرجْ صالح حتى قرُب يزيد، فخرج صالح في الدُّرّاعة، بين يديه أربعمائة من أهل الشام، فلقي يزيدَ وسايره، فنزل يزيد، وضيّق عليه صالح فلم يمكنْه من شيء، واتّخذ [يزيد] ألف خوان يُطْعم الناس عليها، فأخذها صالح، فقال يزيد: اكتبْ ثمنها[4] عليّ، واشترى يزيد متاعاً وكتب صكّاً بثمنه إلى صالح، فلم يقبله وقال ليزيد: إنّ الخراج لا يقوم بما تريد ولا يرضى بهذا أمير المؤمنين وتؤخذ به. فضاحكه يزيد وقال: أجرِ هذا المال هذه المرّة ولا أعود. ففعل صالح.

وكان سليمان لم يجعل خُراسان إلى يزيد، فضجر يزيد من العراق لتضييق صالح عليه، فدعا عبدَ الله بن الأهْتم فقال له: إنّي أريد لأمرٍ قد أهمّني فأحبُ[5] أن تكفينيه. قال: أفعل. قال: أنا فيما ترى من الضيق وقد ضجرت منه، وخُراسان شاغرة برجلها فهل

---

(١) نهاية الأرب ٥٦/٢٤.

(٢) في (ب): «الهشرشي».

(٣) تاريخ خليفة ٣٢٣، مشاهير علماء الأمصار ١٧٩، الحلّة السيراء ٣٣٥/٢، معالم الإيمان للدباغ ١٥٤/١، نهاية الأرب ٥٦/٢٤، البيان المغرب ٤٨/١، رياض النفوس ٧٥/١، وانظر عن (إسماعيل بن عبيد الله) في: تاريخ الإسلام (١٢١ ـ ١٤٠ هـ). ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦ وفيه مصادر أخرى.

(٤) في الأوربية: «ثلثها».

(٥) في الأوربية: «فأجب».

من حيلة؟ قال: نعم، سرّحْني إلى أمير المؤمنين. قال: فاكتم ما أخبرتك. وكتب إلى سليمان يُخْبره بحال العراق، وأثنى على ابن الأهْتم وذكر علمه بها، وسيّر ابنَ الأهتم على البريد.

فأتى سليمانَ واجتمع به، فقال له سليمان: إنّ يزيد كتب إليّ يذكر علمك بالعراق وخُراسان، فكيف علمك بها؟ قال: أنا أعلم الناس بها، بها وُلدتُ، وبها نشأتُ، ولي بها وبأهلها خبر وعلم. قال: فأشِرْ عليّ برجل أولّيه خُراسان. قال: أمير المؤمنين أعلم بمَنْ يريد، فإن ذكر منهم أحداً أخبرتُه برأيي فيه. فسمّى رجلاً من قريش، فقال: ليس من رجال خُراسان. قال: فعبد الملك بن المهلّب. قال: لا يصلح، فإنّه يصبو عن هذا، فليس له مكر أبيه، ولا شجاعة أخيه. حتّى عدّد رجالاً، وكان آخر مَنْ ذكر وَكيع بن أبي سُود، فقال: يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم رئيس مِقْدام، وما أحد أوجب شكراً ولا أعظم عندي يداً من وكيع، لقد أدرك بثأري وشفاني من عدوّي، ولكنّ أمير المؤمنين أعظم حقّاً، والنصيحة له تلزمني، إنّ وكيعاً لم تجتمع له مائة عنان قطّ إلّا حدّث نفسه بغدرة، خامل في الجماعة ثابت[1] في الفتنة، قال: ما هو ممّنْ تستعين به، فمَنْ لها ويحك؟ قال: رجل أعلمه لم يسمّه أمير المؤمنين. قال: فمَنْ هو؟ قال: لا أذكره حتّى يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك، وأن يُجيرني منه إن علِم. قال: نعم. قال: يزيد بن المهلّب. قال: العراق أحبّ إليه من خُراسان. قال ابن الأهتم: قد علمتُ ولكن تُكرهه فيستخلف على العراق ويسير. قال: أصبتَ[2] الرأي. فكتب عهد يزيد على خُراسان، وسيّره مع ابن الأهتم، فأتى يزيدَ به، فأمره بالجهاز للمسير ساعته، وقدّم ابنه مخلداً إلى خُراسان من يومه، ثمّ سار يزيد بعده، واستخلف على واسط الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابيّ، وجعل أخاه مروان بن المهلّب على حوائجه وأموره بالبصرة، وكان أوثق إخوته عنده، واستخلف بالكوفة حَرْمَلة بن عُمَيْر اللخميّ أشهراً ثمّ عزله، وولّى بشير بن حيّان النَّهْديّ.

وكانت قَيْس تزعم أنّ قتيبة لم يَخْلع، فلمّا سار يزيد إلى خُراسان أمره سليمان أن يسأل عن قتيبة، فإن أقامت قيس البيّنة أن قتيبة لم يَخلع أن يقيّد وكيعاً به، ولمّا وصل مَخْلَد بن يزيد مروَ أخذه فحبسه وعذّبه، وأخذ أصحابه وعذّبهم قبل قدوم أبيه، وكانت ولاية وكيع خُراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر. ثمّ قدِم يزيد في هذه السنة خُراسانَ، فأدنى[3] أهل الشام وقوماً من أهل خُراسان، فقال نهار بن تَوْسِعة في ذلك:

---

(١) في نسخة بودليان: «نابه».

(٢) في الأوربية: «أصبنا».

(٣) في الأوربية: «فآذى».

وما كـنّـا نـؤمّـل مـن أمـيـرٍ ... كـمـا كـنّـا نـؤمّـلُ مـن يـزيـدِ
فـأخـطأ ظنُّـنـا فـيـه وقِـدْمـاً ... زَهِـدْنـا في معـاشَـرَةِ الـزَّهـيـدِ
إذا لـم يُـعْـطِنـا نَـصَـفـاً أمـيـرٌ ... مَـشَيْنـا نحـوهُ مـشيَ[1] الأسـودِ
فـمهـلاً يـا يـزيـد أنِـبْ إلـينـا ... ودَعْـنـا من مُـعـاشـرة الـعـبـيـدِ
نـجـيء[2] ولا نـرى إلّا صُـدوداً ... عـلى أنّـا نـسلّم مـن بـعـيـدِ[3]
ونـرجـع خـائـبـيـنَ بـلا نـوالٍ ... فمـا بـالُ[4] التجهّم والصـدودِ[5]

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جهّز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينيّة، واستعمل ابنه داود على الصّائفة فافتتح حصن المرأة[6].

وفيها غزا مَسْلَمَة أرض الوضّاحية، ففتح الحصن الذي فتحه الوضّاح صاحب الوضّاحيّة[7].

وفيها غزا عمر بن هُبَيْرة أرض الروم في البحر، فشتّى فيها[8].

وفيها حجّ سليمان بن عبد الملك بالناس[9].

وفيها عُزل داود بن طلحة الحضرميّ عن مكّة، وكان عمله عليها ستّة أشهر، ووليَ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد[10]. وكان عمّال الأمصار مَنْ تقدّم ذكرهم.

---

(١) الطبري ٦/٥٢٨: «نحوه مثل».
(٢) في الأوربية: «يجبّى».
(٣) هذا البيت من (ر).
(٤) في الأوربية: «نال».
(٥) الطبري ٦/٥٢٨، نهاية الأرب ٢١/٣٤٦، ٣٤٧.
(٦) الطبري ٦/٥٢٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٠، المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٣، تاريخ العظيمي ١٩٩، نهاية الأرب ٢١/٣٤٧، البداية والنهاية ٩/١٦٩، ١٧٠.
(٧) تاريخ خليفة ٣١٤. تاريخ الطبري ٦/٥٢٣، تاريخ العظيمي ١٩٩ وفيه: «وشتى مسلمة بالضواحي»، وهو وهْم، نهاية الأرب ٢١/٣٤٧، البداية والنهاية ٩/١٧٠.
(٨) تاريخ خليفة ٣١٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٠، تاريخ الطبري ٦/٥٢٣، تاريخ العظيمي ١٩٩، نهاية الأرب ٢١/٣٤٧، البداية والنهاية ٩/١٧٠.
(٩) تاريخ خليفة ٣١٤، المحبّر ٢٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٨ و٣٠٠، تاريخ الطبري ٦/٥٢٩، مروج الذهب ٤/٣٩٩، العيون والحدائق ٣/٢٤، تاريخ العظيمي ٢٠٠، نهاية الأرب ٢١/٣٤٧، البداية والنهاية ٩/١٧٤، النجوم الزاهرة ١/٢٣٤.
(١٠) الطبري ٦/٥٢٩، نهاية الأرب ٢١/٣٤٧.

[الوفيات]

وفيها مات عطاء بن يسار [١]، وقيل سنة ثلاثٍ ومائة.

وفيها مات موسى بن نُصَيْر [٢] الذي فتح الأندلس، وكان موته بطريق مكّة مع سليمان بن عبد الملك.

وفيها توفّي قَيس بن أبي حازم [٣] البَجَليّ، وقد جاوز مائة سنة، وجاء إلى النبيّ ﷺ، ليُسْلم، فرآه قد تُوفيّ، وروى عن العشرة، وقيل: لم يرو عن عبد الرحمن بن عَوْف [٤]، وذهب عقله في آخر عمره.

(حازم: بالحاء المهملة والزّاي المعجمة).

وفيها توفّي سالم بن أبي الجَعْد [٥] مولى أَشْجع، واسم أبي الجعد رافع.

---

(١) أنظر عن (عطاء بن يسار) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٣٠ رقم ٣٤٩ و(١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ١٧١، ١٧٢ رقم ١٨٣ وفيهما مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (موسى بن نصير) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٨٥ - ٤٩٠ رقم ٤١٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (قيس بن أبي حازم) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٥٧ - ٤٦٠ رقم ٣٨٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) قاله أبو داود. تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٥٩.

(٥) أنظر عن (سالم بن أبي الجعد) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٦١، ٣٦٢ رقم ٢٧١ وفيه مصادر ترجمته.

٩٨
ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين

ذكر محاصرة القسطنطينيّة

في هذه السنة سار سليمان بن عبد الملك إلى دابِق، وجهّز جيشاً مع أخيه مَسْلمة بن عبد الملك ليسير إلى القسطنطينية، ومات ملك الروم، فأتاه أليون من أَذْرَبَيْجان فأخبره، فضمِن له فتح الروم، فوجّه مَسْلمة معه، فسارا إلى القسطنطينيّة، فلمّا دنا منها أمر كلّ فارس أن يحمل معه مُدّيْن من طعام على عَجُز فرسه إلى القسطنطينيّة، ففعلوا، فلمّا أتاها أمر بالطعام فأُلْقي أمثال الجبال، وقال للمسلمين: لا تأكلوا[1] منه شيئاً، وأغيروا في أرضهم وازرعوا. وعمل بيوتاً من خشب، فشتّى فيها وصاف، وزرع الناس، وبقي الطّعام في الصحراء، والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ومن الزَّرْع، وأقام مَسْلمة قاهراً للروم، معه أعيان الناس خالد بن مَعْدان، ومجاهد بن جَبر، وعبد الله بن أبي زكريّاء[2] الخُزاعي، وغيرهم.

فأرسل الرومُ إلى مَسْلمة يُعطونه عن كلّ رأس ديناراً، فلم يقبل. فقالت الروم لأليون: إنْ صرفتَ عنّا المسلمين ملّكناك. فاستوثق منهم، فأتى مَسْلمة فقال له: إنّ الروم قد علموا أنّك لا تَصْدُقُهم القتال، وأنّك تُطاولهم ما دام الطعام عندك، فلو أحرقتَهُ أعطوا الطّاعة بأيديهم. فأمر به فأُحرق، فقوي الرومُ وضاق المسلمون[3] حتّى كادوا يهلكون، وبقوا على ذلك حتّى مات سليمان.

وقيل: إنّما خدع أليون مَسْلمة بأن يسأله أن يُدْخل الطعام إلى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلةً واحدة، ليصدّقوه أنّ أمره وأمر مَسْلَمة واحدٌ، وأنّهم في أمانٍ من السبْي والخروج من بلادهم، فأذِن له، وكان أليون قد أعدّ السفن والرجال، فنقلوا تلك الليلة الطعام، فلم يتركوا في تلك الحظائر إلاّ ما لا يُذْكَر، وأصبح أليون محارباً، وقد خُدع

---

(١) في الأوربية: «يأكلوا».
(٢) في (ب): «بكر».
(٣) في الأوربية: «وصاب المسلمين».

خديعة لو كانت امرأة لعيبَتّ بها، ولقي الجُنْد ما لم يلقَهُ جيش آخر، حتّى إن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده، وأكلوا الدّوابّ والجلود وأصول الشجر والورق، وكلّ شيء غير التّراب، وسليمان مقيم بدابِق، وتولّى الشتاء فلم يقدر أن يمدّهم حتّى مات(١).

* * *

وفي هذه السنة بايع سليمان لابنه أيّوب بولاية العهد، فمات أيّوب قبل أبيه(٢). وفي هذه السنة فُتحت مدينة الصَّقالبة، وكانت(٣) بُرْجان قد أغارت على مَسْلمة بن عبد الملك وهو في قلّة، فكتب إلى سليمان يستمدّه، فأمدّه، فمكرت بهم الصَّقالبة ثمّ انهزموا(٤). وفيها غزا الوليد بن هشامَ وعَمْرو بن قيس، فأصيب ناسٌ من أهل أنطاكية، وأصاب الوليدُ ناساً من ضواحي الروم، وأسر منهم بشراً كثيراً(٥).

ذكر فتح جُرْجان وطَبَرِستان

في هذه السنة غزا يزيد بن المهلّب جُرْجان وطَبَرِسْتان لمّا قدِم خُراسان.

وسبب غزوهما واهتمامه بهما أنّه لمّا كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام كان سليمان كلّما فتح قُتيبةُ فتحاً يقول ليزيد: ألا ترى إلى ما يفتح الله على قتيبة؟ فيقول يزيد: ما فعلتْ(٦) جرجان (الّتي قطعت الطريق، وأفسدت قُومِس ونَيْسابور ويقول: هذه الفتوح ليست بشيء، الشان هي جُرجان.

فلمّا ولّاه سليمان خُراسان لم يكن له همّة غير جُرجان)(٧)، فسار إليها في مائة ألف

---

(١) الطبري ٦/٥٣٠، ٥٣١، نهاية الأرب ٢١/٣٤٧، ٣٤٨، وانظر: العيون والحدائق ٣/٢٤ ـ ٣٣، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٨٣، ٨٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٩، وتاريخ خليفة ٣١٥، ٣١٦، والتنبيه والإشراف ١٤١، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٣٦، ٣٧، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١١٤، وتاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٧١، والبداية والنهاية ٩/١٧٤ و ١٧٥، والبدء والتاريخ ٦/٤٣، ٤٤، وتاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٣٦/١٩٥ ـ ١٩٨، وكتابنا: دراسات في تاريخ الساحل الشامي (لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية) ١٤٣ ـ ١٤٦، ووفيات الأعيان ٢/٤٢٠، ٤٢١.

(٢) الطبري ٥/٥٣١، ٥٣٢، العيون والحدائق ٣/٣٤، نهاية الأرب ٢١/٣٤٩.

(٣) في الأوربية: «وكان».

(٤) تاريخ خليفة ٣١٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٠، تاريخ الطبري ٦/٥٣٢، تاريخ العظيمي ٢٠٠، نهاية الأرب ٢١/٣٤٩، البداية والنهاية ٩/١٧٥، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٢٦٩.

(٥) الطبري ٦/٥٣٢، نهاية الأرب ٢١/٣٤٩.

(٦) في (ب): «نقلت».

(٧) ما بين القوسين من (ر).

من أهل الشام والعراق وخُراسان، سوى الموالي والمتطوّعة، ولم تكن جُرجان يومئذٍ مدينة، إنّما هي جبال ومخارم وأبواب، يقوم الرجل على بابٍ منها فلا يَقْدَم عليه أحد. فابتدأ بقُهستان فحاصرها، وكان أهلها طائفة من الترك، وأقام عليها، وكان أهلها يخرجون ويقاتلون، فيهزمهم المسلمون في كلّ ذلك، فإذا هُزموا دخلوا الحصن. فخرجوا ذات يوم وخرج إليهم الناس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فحمل محمّد بن أبي سَبْرة على تركيّ قد صدّ الناس عنه، فاختلفا ضربتَيْن، فثبت سيف التُّركيّ في بيضة ابن أبي سَبْرة، وضربه ابن أبي سَبْرة فقتله، ورجع وسيفه يقطر دماً، وسيف التركيّ في بيضته، فنظر الناسُ إلى أحسن منظر رأوه.

وخرج يزيد بعد ذلك يوماً ينظر مكاناً يدخل منه عليهم، وكان في أربعمائةٍ من وجوه الناس وفرسانهم، فلم يشعروا حتّى هجم عليهم التُّرك في نحو أربعة آلاف، فقاتلوهم ساعة، وقاتل يزيد قتالاً شديداً، فسلِموا وانصرفوا، وكانوا قد عطشوا، فانتهوا إلى الماء فشربوا، ورجع عنهم العدوّ.

ثمّ إن يزيد ألحّ عليهم في القتال، وقطع عنهم الموادّ حتى ضَعُفوا وعجزوا. فأرسل صُول، دِهقان قُهستان، إلى يزيد يطلب منه أن يصالحه ويؤمّنه على نفسه وأهله وماله، ليدفع إليه المدينة بما فيها، فصالحه ووفى له، ودخل المدينة، فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز والسَّبْي ما لا يُحْصَى، وقتل أربعة عشر ألف تركيّ صبراً، وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك، ثمّ خرج حتّى أتى جُرجان.

وكان أهل جُرجان قد صالحهم سعيد بن العاص، وكانوا يَجْبون أحياناً مائة ألف، وأحياناً مائتَيْ ألف، وأحياناً ثلاثمائة ألف، وربّما أعطوا ذلك وربّما منعوه، ثمّ امتنعوا وكفروا، فلم يُعْطوا خراجاً، ولم يأتِ جُرجانَ بعد سعيد أحدٌ، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خُراسان أحدٌ إلاّ على فارس وكرمان. وأوّل مَنْ صيّر الطريق من قُومس قُتيبة بن مسلم حين وليَ خُراسان. وبقي أمر جُرجان كذلك حتّى وليَ يزيد وأتاهم، فاستقبلوه بالصُّلح، وزادوه وهابوه، فأجابهم إلى ذلك وصالحهم.

فلمّا فتح قُهستان وجُرجان طمع في طَبَرِسْتان أن يفتحها، فعزم على أن يسير إليها، فاستعمل عبدَ الله بن المُعَمَّر اليَشْكُريّ على الساسان وقُهستان، وخلّف معه أربعة آلاف، ثمّ أقبل إلى أداني جُرجان ممّا يلي طَبَرِسْتان فاستعمل على ايذوسا[1] راشد بن عَمْرو، وجعله في أربعة آلاف، ودخل بلاد طبرستان، فأرسل إليه الأصبهبذ صاحبها يسأله الصُّلح، وأن يخرج من طبرستان، فأبى يزيد، ورجا أن يفتتحها، ووجّه أخاه أبا عُيَيْنة من

(١) في نسختي بودليان و (ر): «أندوسا».

وجهٍ، وابنَه خالدَ بنَ يزيد من وجه، وأبا الجَهْم الكلبيّ من وجه، وقال: إذا اجتمعتم فأبو عُيَيْنة على الناس. فسار أبو عُيَيْنة وأقام يزيد معسكراً.

واستجاش الأصبهبذ أهلَ جِيلان والدَّيلم، فأتوه فالتقوا في سفح جبل[1]، فانهزم المشركون في الجبل، فاتبعهم المسلمون حتّى انتهوا إلى فم الشعب، فدخله المسلمون وصعد المشركون في الجبل، واتبعهم المسلمون يرومون الصُّعود، فرماهم العدوّ بالنُّشّاب والحجارة، فانهزم أبو عُيَيْنة والمسلمون يركب بعضهم بعضاً، يتساقطونَ في الجبل حتّى انتهوا إلى عسكر يزيد، وكفّ عدوّهم عن اتّباعهم، وخافهم الأصبهبذ، فكان أهل جُرجان ومقدّمهم المَرْزُبان يسألهم أن يبيّتوا مَنْ عندهم من المسلمين، وأن يقطعوا عن يزيد المادّة والطريق فيما بينه وبين بلاد الإسلام، ويَعِدُهم أن يكافئهم على ذلك، فثاروا بالمسلمين فقتلوهم أجمعين وهم غارّون في ليلة، وقُتل عبد الله بن المُعَمّر وجميع مَنْ معه، فلم ينجُ منهم أحد، وكتبوا إلى الأصبهبذ بأخذ المضايق والطرق.

وبلغ ذلك يزيدَ وأصحابه، فعظُم عليهم وهالَهم، وفزع يزيد إلى حيّان النَّبطيّ وقال له: لا يمنعك ما كان منّي إليك من نصيحة المسلمين، وقد جاءنا عن جُرجان ما جاءنا فاعملْ في الصلح. فقال: نعم. فأتى حيّان الأصبهبذَ فقال: أنا رجل منكم، وإن كان الدّين فرّق بيني وبينكم، فأنا لكم ناصح، فأنت أحبّ إليّ من يزيد، وقد بعث يستمدّ وأمداده منه قريبة، وإنّما أصابوا منه طرفاً، ولستُ آمن أن يأتيك مَنْ لا تقوم له، فأرحْ نفسك وصالحْه، فإن صالحتَهُ صيَّر حدّهُ على أهل جُرجان بغدرهم وقتْلهم أصحابه. فصالحه على سبعمائة ألف، وقيل: خمسمائة ألف وأربعمائة وقْر زَعْفَران، أو قيمته من العَين، وأربعمائة رجل، على كلّ رجلٍ منهم ترْس وطَيْلسان، ومع كلّ رجل جامٌ من فضّة وخرقة حرير وكسْوة.

ثمّ رجع حيّان إلى يزيد فقال: ابعث منْ (يحمل صُلحهم)[2]، فقال: من عندهم أو من عندنا؟ قال: من عندهم، وكان يزيد قد طابت نفسه أن يُعطيَهم ما سألوا ويرجع إلى جُرْجان، فأرسل يزيد مَنْ يقبض ما صالحهم عليه حيّان، فانصرف إلى جُرجان[3]. وكان يزيد قد أغرم حيّان مائتَيْ ألف درهم، وسبب ذلك أنّ حيّان كتب إلى مَخْلَد بن يزيد، فبدأ بنفسه، فقال له ابنه مُقاتل بن حيّان: تكتب إلى مَخْلَد وتبدأ بنفسك. قال: نعم،

---

(١) في (ر): «سندجيل»، وفي (ب): «سنة جيل».

(٢) في (ر): «يحملهم».

(٣) حتى هنا في نهاية الأرب ٣٤٩/٢١، ٣٥٠، وانظر: تاريخ خليفة ٣١٥، وتاريخ الإسلام ٢٦٨، ٢٦٩.

وإن لم يرضَ لقي ما لقي قُتَيْبة. فبعث مَخْلَد الكتاب إلى أبيه يزيد، فأغرمه مائتَيْ ألف درهم[1].

وقيل: إنّ سبب مسير يزيد إلى جُرجان أنّ صُولاً التُّركيّ كان ينزل قُهستان والبُحَيْرة، وهي جزيرة في البحر بينها وبين قُهستان خمسة فراسخ، وهما من جُرجان ممّا يلي خُوارزم، وكان يغير على فيروز [بن] قول مرزُبان جُرجان، فيصيب من بلاده. فخافه فيروز، فسار إلى يزيد بخُراسان وقدِم عليه، فسأله عن سبب قدومه، فقال: خفتُ صولاً فهربتُ منه، وأخذ صول جُرجان. فقال يزيد لفيروز: هل من حيلةٍ لقتاله؟ قال: نعم، شيء واحد إن ظفرتَ به قتلتَهُ وأعطى بيده. قال: ما هو؟ قال: تكتب إلى الأصبهبذ كِتاباً تسأله فيه أن يحتال لصول حتّى يقيم بجُرجان، واجعلْ له على ذلك جُعْلاً، فإنّه يبعث بكتابك إلى صول يتقرّب [به] إليه، فيتحولّ[2] عن جُرجان، فينزل البُحَيرة، وإن تحوّل عن جُرجان وحاصرتَهُ ظفرتَ به. ففعل يزيد ذلك، وضمن للأصبهبذ خمسين ألف دينار إنْ هو حبس صولاً عن البحيرة ليحاصره بجُرجان، فأرسل الأصبهبذ الكتاب إلى صول، فلمّا أتاه الكتاب رحل إلى البحيرة ليتحصّن بها، وبلغ يزيدَ مسيره فخرج إلى جُرجان ومعه فيروز، واستعمل على خُراسان ابنَه مَخْلَداً، وعلى سَمَرْقند وكِشّ ونَسَف وبُخَارَى ابنه معاوية، وعلى طَخارستان حاتم بن قَبيصة بن المهلّب، وأقبل حتّى أتى جُرجان فدخلها ولم يمنعه منها أحد، وسار منها إلى البحيرة فحصر صولاً بها، فكان يخرج إليه صول فيقاتله ثمّ يرجع[3]، فمكثوا بذلك ستّة أشهر، فأصابهم مرض وموت، فأرسل صول يطلب الصلح على نفسه وماله وثلاثمائة من أهله وخاصّته، ويسلّم إليه البحيرة، فأجابه يزيد، فخرج بماله وثلاثمائة ممّنْ أحبّ.

وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً، وأطلق الباقين. وطلب الجُند أرزاقهم، فقال لإدريس بن حنظلة العَمّيّ: أحصِ لنا ما في البحيرة حتّى نُعطي الجُنْد. فدخلها إدريس، فلم يقدر على إحصاء ما فيها، فقال ليزيد: لا أستطيع ذلك وهو في ظروف، فتُحصى الجواليق ويعلّم ما فيها ويعطى الجُنْد، فمَنْ أخذ شيئاً عرّفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرزّ والسِّمْسِم والعسل، ففعلوا ذلك وأخذوا شيئاً كثيراً، وكان شهر بن حَوْشب على خزائن يزيد بن المهلّب، فرفعوا عليه أنّه أخذ خريطة، فسأله يزيد عنها، فأتاه بها فأعطاها شهراً؛ فقال بعضهم:

---

(1) الطبري ٥٣٢/٦ - ٥٤١، الفتوح لابن أعثم ٢٨٩/٧ - ٢٩٣، البداية والنهاية ١٧٥/٩، ١٧٦.
(2) في الأوربية: «فتحول».
(3) في (ر): «رجع».

لقــد بـاع شهــرُ دينَــهُ بخــريــطة		فمن يـأمن القُرّاءَ بعـدك يا شهـرُ[1]

وقال مُرّة الحنفيّ[2]:

يا ابنَ المهلّب ما أردتَ إلى امرىء		لــولاكَ كــان كـصــالــح الـقُــرّاء

وأصاب يزيدُ بجُرجان تاجاً فيه جوهر فقال: أترون أحداً يزهد في هذا؟ قـالوا: لا. فدعا محمّدَ بن واسع الأزديّ فقال: خذْ هذا التاج. قال: لا حاجـة لي فيه. قـال: عزمت عليك. فأخذه، فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به، فلقي سائلاً فدفعه إليـه، فأخـذ الرجـلُ السائلَ وأتى به يزيدَ وأخبره، فأخذ يزيد التاج وعوّض السائلَ مالاً كثيراً[3].

ذكر فتح جُرْجان الفتح الثاني

قـد ذكرنـا فتح جـرجان وقُهستـان وغدر أهـل جُرجـان، فلمّا صـالح يـزيدُ أصبهبـذَ طبرستان سار إلى جُرجـان، وعاهـد الله تعالى لئن ظفـر بهم لا يرفـع السيف حتّى يطحن بدمائهم، ويأكل من ذلك الطحين. فأتاهـا وحصر أهلهـا بحصن، فجاه ومَنْ يكـون بها لا يحتاج إلا عدّةِ من طعام وشراب، فحصرهم يزيد فيها سبعة أشهر، وهم يخرجون إليه في الأيّام فيقاتلونه ويرجعون.

فبينـا هم على ذلك إذ خـرج رجل من عجم خُـراسـان يتصيّـد، وقيـل: رجـل من طيّء، فأبصر وعْلاً في الجبل، ولم يشعـر حتّى هجم على عسكرهم، فـرجع كـأنّه يـريد أصحابه، وجعل يخرق قَباءه ويعقد على الشجر علامات، فأتى يـزيدَ فـأخبره، فضمن لـه يـزيد دِيـةً إن دلّهم على الحصن، فانتخب معـه ثلاثمـائـة رجـل، واستعمـل عليهم ابنـه خالد بن يـزيد، وقـال له: إن غُلبتَ على الحيـاة فلا تُغلبنّ على المـوت، وإيّاك أن أراك عندي مهزوماً. وضمّ إليه جَهْمَ بن زَحْر، وقال للرجـل: متى تصلون؟ قال: غـداً العصر. قال يزيد: سأجهد[4] على مناهضتهم[5] عند الظهر.

فساروا فلمّا كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كلّ حـطبٍ كان عنـدهم، فصار مثـل الجبال من النيران، فنظر العدوّ إلى النيران فهالهم ذلك فخرجوا إليهم، وتقدّم يـزيد إليهم

---

(١) وزاد الطبري بيتاً آخر:

أخــذت بــه شـيـئـاً طـفـيـفـاً وبِـعْـتَـهُ		مـن ابن جـونـبـوذ إنّ هــذا هــو الـغــدرُ

(٢) الطبري ٥٣٩/٦: «النخعي».

(٣) الطبري ٥٣٨/٦، ٥٣٩، البداية والنهاية ١٧٦/٩.

(٤) في الأوربية: «نتاجد».

(٥) في (ر): «مجاهدتهم».

فاقتتلوا، وهجم أصحاب يزيد الذين ساروا على عسكر التُّرك قبل العصر، وهم آمنون من ذلك الوجه، ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه، فما شعروا إلّا بالتكبير من ورائهم، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم، وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم، ونزلوا على حكم يزيد، فسبى ذراريّهم، وقتل مقاتلتهم، وصلبهم فرسخَيْن إلى يمين الطريق ويساره، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جُرْجان وقال: مَنْ طلبهم بثأر فلْيُقْتلْ. فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعةَ والخمسة، وأجرى الماء على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ليبرّ يمينه، فطحن وخبز وأكل، وقيل: قتل منهم أربعين ألفاً.

وبنى مدينة جُرجان، ولم تكن بُنيت قبل ذلك مدينة، ورجع إلى خُراسان، واستعمل على جُرجان جَهْم بن زَحْر الجُعْفيّ، وقيل: بل قال يزيد لأصحابه لمّا ساروا: إذا وصلتم إلى المدينة انتظروا، فإذا كان السَّحَر كبّروا واقصدوا الباب، فستجدونني قد نهضتُ بالناس إليه. فلمّا دخل ابن زَحْر المدينة أمهل حتّى كانت الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها فكبّر، ففزع أهل الحصن، وكان أصحاب يزيد لا يلقون أحداً إلّا قتلوه، ودُهش التّرك، فبقوا لا يدرون أين يتوجّهون، وسمع يزيد التّكبير، فسار في الناس إلى الباب، فلم يجد عنده أحداً يمنعه، وهم مشغولون بالمسلمين، فدخل الحصن من ساعته، وأخرج مَنْ فيه، وصلبهم فرسخَيْن من يمين الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها وغنم ما فيها، وكتب إلى سليمان بالفتح يعظّمه ويُخْبره أنّه قد حصل عنده من الخُمْس ستّمائة ألف ألف، فقال له كاتبه المُغيرة بن أبي قُرّة مولى بني سَدوس: لا تكتب تسمية المال، فإنّك من ذلك بين أمرَيْن، إمّا استكثره فأمرك بحمله، وإمّا سمحتْ نفسُه لك به فأعطاكه، فتكلّف الهديّة، فلا يأتيه[1] من قِبَلك شيء إلّا استقلّه، فكأنّي بك قد استغرقتَ[2] ما سمّيت ولم يقع منه موقعاً، ويبقى المال الذي سمّيت مخلَّداً في دواوينهم[3]، فإن ولي والٍ بعده أخذك به، وإن وليَ مَنْ يتحامل عليك لم يرضَ بأضعافه، ولكن اكتبْ فسلْه القدومَ، وشافهه بما أحببتَ فهو أسلم. فلم يقبل منه وأمضى الكتاب، وقيل: كان المبلغ أربعة آلاف ألف[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي أيّوب بن سليمان[5] بن عبد الملك وهو وليّ عهد.

---

(١) في الأوربية: «تأتيه».

(٢) في (ب): «استعرفت».

(٣) في الأوربية: «دوائهم».

(٤) الطبري ٥٤١/٦ ـ ٥٤٥، نهاية الأرب ٣٥١/٢١، ٣٥٢، وانظر: تاريخ خليفة ٣١٥.

(٥) أنظر عن (أيوب بن سليمان) في: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ). ص ٣٠٠ رقم ٢١٩ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها فُتحت مدينة الصَّقالبة، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم[1].

وفيها غزا داود بن سليمان أرض الروم، ففتح حصن المرأة ممّا يلي مَلَطْية[2].

وفيها كانت الزلازل في الدنيا كثيرة، ودامت ستّة أشهر[3].

[الوَفَيات]

وفيها مات عُبيد الله بن عبد الله[4] بن عُتْبة بن مسعود.

وأبو عُبَيْد مولى عبد الرحمن بن عَوْف[5]، ويُعْرَف بمولى ابن أزهر.

وعبد الرحمن بن يزيد[6] بن جارية[7] الأنصاري[8].

وسعيد بن مَرجانة[9] مولى قريش، وهي أمّهُ، واسم أبيه عبد الله.

وحجّ بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أُسيد[10]، وهو أمير على مكّة، وكان العُمّال مَنْ تقدّم ذكرهم إلاّ البصرة، فإنّ يزيد استعمل عليها سُفيان بن عبد الله الكِنْديّ[11].

---

(١) أنظر: ص ٢٨ حاشية (٥).

(٢) في (ر): «ملطيّة». وقد تقدّم الخبر في: ص ٢٦ (حوادث ٩٧ هـ).

(٣) الخبر ينقله المؤلف عن الأصفهاني في: تاريخ سنيّ ملوك الأرض - ص ١٤٤، وهو مقتبس في: نهاية الأرب ٢١/٣٥٣، واقتبسه ابن تغري بردي عن الأصفهاني، ولكنه أدمج زلزلتي سنة ٩٤ و ٩٨ هـ. مع بعضهما. فليُراجع.

(٤) أنظر عن (عبيد الله بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٢١ - ٤٢٣ رقم ٣٤١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (أبي عبيد مولى عبد الرحمن، واسمه: سعد بن عُبيد) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٥٣٤، ٥٣٥ رقم ٤٧٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في طبعة صادر ٣٦/٥: «زيد» وهو وهْم، وقد ورد صحيحاً في الطبعة الأوربية.

(٧) في طبعة صادر ٣٦/٥: «حارثة» وهو وهْم، وفي الأصل: «خارجة» وهو وهْم أيضاً، والتصويب من مصادر ترجمته.

(٨) أنظر عن (عبد الرحمن بن يزيد) في تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ) ص ٤١٧ رقم ٣٣٦ ووقع فيه أن وفاته سنة ٩٣، وورّخ خليفة وفاته في سنة ٩٨ هـ. (تاريخ خليفة ٣١٦).

(٩) أنظر عن (سعيد بن مرجانة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٧٨، وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) تاريخ خليفة ٣١٦، المحبّر ٢٦ وفيه: أبو بكر بن حزم الأنصاري، ويقال: عبد العزيز بن عبد الله . . ، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٠، تاريخ الطبري ٦/٥٤٥، مروج الذهب ٣٩٩، تاريخ العظيمي ٢٠٠، نهاية الأرب ٢١/٣٥٣، النجوم الزاهرة ١/٢٣٦.

(١١) الطبري ٦/٥٤٥.

٩٩
ثم دخلت سنة تسعٍ وتسعين

ذكر موت سليمان بن عبد الملك

في هذه السنة تُوُفّي سليمان بن عبد الملك بن مروان لعَشْرٍ بقين من صفر، فكانت خلافته سنَتَيْن وخمسة أشهر وخمسة أيّام[١]، وقيل: توفّي فيها لعَشْرٍ مَضَيْن من صفر، فتكون ولايته سنتَيْن وثمانية أشهر إلّا خمسة أيّام[١]، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز[٢]. وكان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجّاج، ووليَ سليمان فأطلق الأسرى، وأخلى السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز[٣]. وكان موته بدابق من أرض قِنسرين، لبس يوماً حُلّةً[٤] خضراء، وعِمامة خضراء ونظر في المرآة فقال: أنا الملك الفتى، فما عاش جُمْعَة[٥]، ونظرت إليه جارية، فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنت نِعم المتاع لو كنتَ تبقى ... غير أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

ليس فيما عَلِمْتُهُ فيكَ عَيبٌ ... كان في الناس غير أنّك فانِ[٦]

---

(١) قارن هنا بما عند الطبري ٦/٥٤٦ ففيهما تناقض. وانظر: التنبيه والإشراف ٢٧٥.

(٢) الطبري ٦/٥٤٦، تاريخ خليفة ٣١٦، العيون والحدائق ٣/٣٣، ٣٤، مآثر الإنافة ١/١٤٠.

(٣) الطبري ٦/٥٤٦، العيون والحدائق ٣/١٧، البدء والتاريخ ٦/٤١، العقد الفريد ٤/٤٢٥، نهاية الأرب ٢١/٣٥٣، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٧٩، تاريخ الخلفاء ٢٢٥، ٢٢٦، المختصر في أخبار البشر ١/٢٠٠، وفيات الأعيان ٢/٤٢٠.

(٤) في الأوربية: «حلية».

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٩، تاريخ الطبري ٦/٥٤٧، مناقب عمر ٥٩، نهاية الأرب ٢١/٣٥٤، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٨٠، البداية والنهاية ٩/١٨١، تاريخ الخلفاء ٢٢٦.

(٦) البيتان في: تاريخ الطبري ٦/٥٤٧، ونهاية الأرب ٢١/٣٥٤، وهما بتقديم وتأخير واختلاف ألفاظ في: العقد الفريد ٤/٤٢٥، ووفيات الأعيان ٢/٤٢١، أما في مروج الذهب ٤/٨٦ أ فثلاثة أبيات، أولها: «أنت نعم المتاع...».

الثاني: أنت من لا يريبنا منك شيء ... علم الله غير أنك فاني

الثالث: ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ ... يا سليمان غير أنك فان

والبيتان أيضاً في: مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٥٩، والبداية والنهاية ٩/١٨١.

قيل: وشهد سليمانُ جنازةً بدابق، فدُفنت في حَقْلٍ، فجعل سليمان يأخذ من تلك التُّربة ويقول: ما أحسن هذه [التُّربة] وأطيبها! فما أتى عليه جمعة حتّى دُفن إلى جنب [ذلك] القبر[1].

قيل: حجّ سليمان وحجّ الشعراء، فلمّا كان بالمدينة قافلاً تَلَقَّوْه بنحو أربعمائة أسير من الروم، فقعد سليمان وأقربهم منه مجلساً عَبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فقُدّم بِطْريقهم، فقال: يا عبد الله اضرب عُنُقه! فأخذ سيفاً من حرسيّ فضربه، فأبان الرأس[2]، وأطنّ[3] الساعدَ وبعض الغُلّ، ودفع البقيّةَ إلى الوجوه يقتلونهم، ودفع إلى جرير رجلاً منهم، فأعطاه بنو عَبْس سيفاً جيّداً، فضربه فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسيراً، فأعطوه سيفاً رديّاً لا يقطع، فضرب به الأسيرَ ضرباتٍ، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان والقوم، وشمتت[4] به بنو عبْسٍ أخوال سليمان، وألقى السيفَ وأنشأ يقول:

وإن يكُ سيفٌ خان أو قَدَرٌ أتى ... بتأخير[5] نفسٍ حتْفُها غير شاهدِ
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبَا بيدَي ورقاءَ عن رأسِ خالدِ
كذاك سُيُوفُ الهند تَنْبُو ظُباتُها ... وتقطع أحياناً مَناطَ القلائدِ[6]

ورقاء هو ورقاءُ بن زُهَيْر بن جَذيمة العبسيّ، ضربَ خالدَ بنَ جعفر بن كلاب، وخالد قد أكبّ على [أبيه] زهير وضربه بالسيف فصرعه، فأقبل ورقاءُ فضرب خالداً ضربات، فلم يصنع شيئاً، فقال ورقاء بن زهير:

رأيتُ زُهَيْراً تحتَ كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجُول أبادِرُ
فشُلّتْ يميني يومَ أضرِبُ خالداً ... ويمنعه[7] منّي الحديدُ المُظَاهَرُ[8]

---

(١) الطبري ٦/٥٤٩، نهاية الأرب ٢١/٣٥٤.
(٢) في الأغاني ١٥/٣٤٢: «فأبان عنقه وذراعه».
(٣) أطنّ: قطع.
(٤) في طبعة صادر ٥/٣٨: «شتمت».
(٥) في الأغاني ١٥/٣٤٣: «بتعجيل»، والمثبت يتفق مع ديوانه ١٨٦، والطبري ٦/٥٤٨، وفي النقائض ٣٨٤، والعمدة لابن رشيق ١/١٢٦: «لتأخير نفس»، وفي الحيوان للجاحظ ٣/٩٧: «لميقات يوم معلوم».
(٦) الأبيات في: ديوان الفرزدق ١٨٦، ونقائضهم مع جرير ٣٨٤، والحيوان للجاحظ ٣/٩٧. والعمدة لابن رشيق ١/١٢٦، وتاريخ الطبري ٦/٥٤٨، والأغاني ١٥/٣٤٣.
(٧) في (ر) ونسخة بودليان، وتاريخ الطبري: «ويحصنه»؛ والمثبت يتفق مع الأغاني.
(٨) البيتان في تاريخ الطبري ٦/٥٤٨، والأغاني ١١/٧٤.

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز

في هذه السنة استُخلف عمرُ بن عبد العزيز.

وسبب ذلك أنّ سليمان بن عبد الملك لمّا كان بدابِق مرض، على ما وصفنا، فلمّا ثقُل عهِد في كتابٍ كتبه لبعض بنيه، وهو غلام لم يبلغ، فقال له رَجاء بن حَيْوَة: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إنّه ممّا يحفظ الخليفةَ في قبره أن يستخلف على الناس الرجل الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله وأنظر [فيه]. ولم أعزم [عليه]، فمكث سليمان يوماً أو يومَيْن، ثمّ خرّقه ودعا رجاء فقال: ما ترى في ولدي داود؟ فقال رجَاء: هو غائب عنك بالقسطنطينيّة(*) ولا تدري أحيّ [هو] أم لا. قال: فمَنْ ترى؟ قال رَجاء: رأيك. قال: فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ قال رجاء: فقلتُ: أعلمه واللّه خيّراً فاضلاً سليماً. قال سليمان: هو على ذلك، ولئن ولّيْتُهُ ولم أولّ أحداً سواه لتكوننّ فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم، إلاّ أن يجعل أحدهم بعده. وكان عبد الملك قد عهد إلى الوليد وسليمان أن يجعلا أخاهما يزيدَ وليّ عهد، فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر، وكان يزيد غائباً في الموسم. قال رجاء: قلت رأيك. فكتب:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد ولّيتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيدَ بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتّقوا الله، ولا تختلفوا فيُطْمَع فيكم». وختم الكتاب. فأرسل إلى كعب بن جابر العَبْسيّ صاحب شُرطَته فقال: ادعُ أهل بيتي. فجمعهم كعب. ثمّ قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهبْ بكتابي إليهم، وأخبرْهم بكتابي، ومُرْهم فيبايعوا مَنْ ولّيتُ فيه.

ففعل رجاء، فقالوا: ندخل ونسلّم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فدخلوا، فقال لهم سليمان: في هذا الكتاب، وهو يشير إلى الكتاب الذي في يد رجاء بن حَيْوَة، عهدي، فاسمعوا وأطيعوا لمَنْ سمّيتُ فيه. فبايعوه رجلاً رجلاً، وتفرّقوا.

وقال رجاء: فأتاني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسند إليّ شيئاً من هذا الأمر، فأنشدك الله وحُرمتي ومودّتي إلاّ أعلمتني إن كان ذلك، حتّى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك. قال رجاء: ما أنا بمُخْبِرُك [حرفاً]. قال: فذهب عمر عنّي غضبان.

قال رجاء: ولقيني هشام بن عبد الملك فقال: إنّ لي بك حُرمةً ومودّة قديمة، وعندي شكر، فأعلمْني بهذا الأمر، فإن كان إلى غيري تكلّمت، ولله عليّ أن لا أذكر

(*) في الأوربية: «عند القسطنطينيّة».

شيئاً من ذلك أبداً. قال رجاء: فأبيتُ أن أخبره حرفاً، فانصرف هشام وهو يضرب بإحدى يدَيْه على الأخرى وهو يقول: فإلى مَنْ إذاً نُحّيَت[1] عنّي؟ أتخرج[2] من بني عبد الملك؟

قال رجاء: ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت، فجعلتُ إذا أخذتْه سكْرةٌ من سَكَرات الموت حَرَفْتُه إلى القِبْلة، فيقول حين يفيق: لم يأنِ بعدُ. ففعلتُ ذلك مرّتَيْن أو ثلاثاً، فلمّا كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنتَ تريد شيئاً، أشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، فحرفته، فمات، فلمّا غمّضتُهُ وسجّيته[3] وأغلقتُ البابَ، أرسلتْ إليّ زوجته فقالت: كيف أصبح؟ فقلتُ: هو نائم قد تغطّى. ونظر إليه الرسولُ متغطّياً فرجع فأخبرها، فظنّت أنّه نائم، قال: فأجلستُ على الباب مَنْ أثق به، وأوصيته أن لا يبرح ولا يترك أحداً يدخل على الخليفة.

قال: فخرجت فأرسلت إلى كعب بن جابر، فجمع أهل بيت سليمان، فاجتمعوا في مسجد دابق، فقلتُ: بايِعُوا. فقالوا: قد بايعنا مرّةً. قلتُ: وأخرى، هذا عهد أمير المؤمنين. فبايَعوا الثانية، فلمّا بايعوا بعد موته رأيتُ أنّي قد أحكمتُ الأمرَ فقلتُ: قوموا إلى صاحبكم فقد مات. قالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! وقرأتُ الكتابَ، فلمّا انتهيتُ إلى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام: لا نبايعه والله أبداً. قلتُ: أضرِبُ والله عُنقكَ، قمْ فبايعْ، فقام يجرّ رِجْلَيْه. قال رجاء: فأخذتُ بضبعَيْ عمر بن عبد العزيز، فأجلستُهُ على المنبر وهو يسترجع لِما وقع فيه، وهشام يسترجع لما أخطأه. فبايعوه.

وغُسّل سليمان وكُفّن، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز ودُفن. فلمّا دُفن أُتي عمر بمراكب الخلافة ولكلّ دابّة سائس، فقال: ما هذا؟ فقيل: مراكب الخلافة. قال: دابّتي أوفق لي، وركب دابته وصُرفت تلك الدوابّ، ثمّ أقبل سائراً، فقيل له: أمنزل الخلافة؟ فقال: فيه عيال أبي أيّوب، يعني سليمان، وفي فسطاطي كفاية حتّى يتحوّلوا. فأقام في منزله حتّى فرّغوه.

قال رجاء: فأعجبني ما صنع في الدوابّ ومنزل سليمان، ثمّ دعا كاتباً فأملى عليه كتاباً واحداً، وأمره أن ينسخه ويسيّره إلى كلّ بلد.

وبلغ عبدَ العزيز بن الوليد، وكان غائباً، عن موت سليمان، ولم يعلم ببيعة عمر، فعقد لواءً ودعا إلى نفسه، فبلغه بيعةُ عمر بعهد سليمان، وأقبل حتّى دخل عليه، فقال له عمر: بلغني أنّك بايعت من قِبَلك وأردتَ دخول دمشق! فقال: قد كان ذاك، وذلك أنه

---

(١) في (ر): «نجيت».

(٢) في الأوربية: «أيخرج».

(٣) في (ب): «أغضيت نحته».

بلغني أنّ سليمان لم يكن عهد لأحدٍ، فخفتُ على الأموال أن تُنْهب. فقال عمر: لو بايعتَ وقمتَ بالأمر لم أنازعْك فيه ولَقَعَدْتُ في بيتي. فقال عبد العزيز: ما أُحبّ أنه وليَ هذا الأمر غيرك، وبايعه، وكان يُرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده[1].

فلمّا استقرّت البيعة لعمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك: إن أردتِ صُحبتي فرُدّي ما معك من مالٍ وحلي وجوهر إلى بيت مال المسلمين، فإنّه لهم، فإنّي لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيتٍ واحد. فردّته جميعه.

فلمّا توفيّ عمر وولي أخوها يزيد ردّه عليها وقال: أنا أعلم أنّ عمر ظلمك. قالت: كَلّا والله. وامتنعتْ من أخذه وقالت: ما كنتُ أطيعه حيّاً وأعصيه ميتاً. فأخذه يزيد وفرّقه على أهله[2].

ذكر تَرْك سبّ أمير المؤمنين عليّ، عليه السّلام

كان بنو أُمَيّة يسبّون أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، إلى أن وليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك، وكتب إلى العُمّال في الآفاق بتركه.

وكان سبب محبّته عليّاً أنّه قال: كنتُ بالمدينة أتعلّم العلم، وكنتُ ألزم عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود، فبلغه عنّي شيء من ذلك، فأتيتُهُ يوماً وهو يصلّي، فأطال الصلاة، فقعدتُ أنتظر فراغه، فلمّا فرغ من صلاته التفت إليّ فقال لي: متى علمتَ أنّ الله غضب على أهل بدرٍ وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟ قلتُ: لم أسمع ذلك. قال: فما الذي بلغني عنك في عليّ؟ فقلت: معذرةً إلى الله وإليك! وتركتُ ما كنت عليه، وكان أبي إذا خطب فنال[3] من عليّ، رضي الله عنه، تلجلج فقلتُ: يا أبه، إنّك تمضي في خطبتك، فإذا أتيتَ على ذكر عليّ عرفتُ منك تقصيراً؟ قال: أوَفطِنتَ لذلك؟ قلت: نعم. فقال: يا بُنيّ إن الّذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم تفرّقوا عنّا إلى أولاده.

فلما وليَ الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم

---

(١) الخبر بطوله في: تاريخ الطبري ٦/٥٥٠ ـ ٥٥٣، ونهاية الأرب ٢١/٣٥٥ ـ ٣٥٧، ومناقب عمر لابن الجوزي ٥٩ ـ ٦٢، والعيون والحدائق ٣/٣٨، ٣٩، والبداية والنهاية ٩/١٨١، ١٨٢، وتاريخ الخلفاء ٢٢٦، ٢٢٧، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠١، ومرآة الجنان ١/٢٩٠، ٢٩١، وتاريخ دمشق (نسخة سليمان باشا) ١٣/ ورقة ١٣٨ أ، ب وسيرة عمر لابن عبد الحكم ٣٤، ٣٥، وطبقات ابن سعد ٥/٣٣٥ ـ ٣٣٨.

(٢) نهاية الأرب ٢١/٣٥٧، ٣٥٨.

(٣) في (ب): «قال».

لأجلها، فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عِوَضه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[1] الآية؛ فحلّ هذا الفِعْل عند الناس محلاً حسناً، وأكثروا مدحه بسببه؛ فمن ذلك قول كُثَيِّر عَزَّة:

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ علياً ولم تُخِفْ ... بَرِيّاً ولم تتبعْ مقالة[2] مُجْرِمِ
تكلّمتَ بالحقّ المبين وإنّما ... تُبَيَّنُ آياتُ الهُدى بالتكلُّمِ
وصدّقتَ معروفَ الذي قلتَ بالذي ... فعلتَ فأضحَى راضياً كلُّ مسلمِ[3]
ألا إنّما يكفي الفتى بعد زَيْغِهِ ... من الأوَدِ البادي ثِقافُ المقوِّمِ[4]

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر: أفلحنا إذاً.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسْلمة، وهو بأرضِ الرومِ، يأمره بالقفول منها بمَنْ معه من المسلمين، ووجّه له خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً، وحثّ الناسَ على معونتهم[5].

وفيها أغارت التركُ على أَذْرَبَيْجان فقتلوا من المسلمين جماعة، فوجّه عمرُ: [عبدَ العزيز بن]حاتمَ بنَ الباهليّ[6] فقتل أولئك التُّركَ ولم يُفْلت منهم إلاّ اليسير، وقُدم على عمر منهم بخمسين أسيراً[7].

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٢) في الشعر والشعراء: «ولم تقبل إشارة».

(٣) في الشعر والشعراء: والعقد الفريد:

وصدّقت بالفعل المقال مع الذي ... أتيت، فأمسى راضياً كلُّ مسلمِ

(٤) الأبيات من جملة أبيات كثيرة في «الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤١٣/١، وهي في العقد الفريد ٨٨/٢، ونهاية الأرب ٣٥٨/٢١، ومناقب عمر لابن الجوزي ٣٣٢، ٣٣٣، ومنها ثلاثة أبيات في طبقات ابن سعد ١٤٤/٥، ومنها بيتان في المختصر لأبي الفداء ٢٠١/١.

(٥) تاريخ خليفة ٣٢٠، تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/٢، سنن سعيد بن منصور ق ٢ مجلّد ٢٦٤/٣ رقم ٢٧١١، تاريخ الطبري ٥٥٣/٦، العيون والحدائق ٣٩/٣، نهاية الأرب ٣٥٨/٢١، البداية والنهاية ١٨٤/٩، تاريخ الإسلام ٢٧٣.

(٦) في طبعة صادر ٤٣/٥: «فوجّه عمر حاتم بن النعمان» وكذا في: نهاية الأرب ٣٥٩/٢١، وما أثبتناه عن: تاريخ خليفة وغيره. وقد وقع في المطبوع من تاريخ الطبري ٥٥٣/٦: «فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي»، وهو وهْم. والصحيح: فوجّه إليهم عمر: عبد العزيز بن حاتم...

(٧) تاريخ خليفة ٣٢٠، تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/٢، تاريخ الطبري ٥٥٣/٦، ٥٥٤، تاريخ العظيمي ٢٠٠، نهاية الأرب ٣٥٨/٢١، ٣٥٩، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٧٢، البداية والنهاية ١٨٥/٩ وفيه: فوجّه إليهم عُمر حاتمَ بن النعمان - وهو وهْم. النجوم الزاهرة ٢٣٩/١.

وفيها عزل يزيدَ بن المهلّب عن العراق، ووجّه إلى البصرة عدّي بن أرطأة الفَزاريّ، وعلى الكوفة عبد الحَميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب العَدويّ القُرَشيّ، وضمّ إليه أبا الزِّناد، وكان كاتبه، وبعث عديّ في أثر يزيد بن المهلّب موسى بن الوَجيه الحِمْيريّ[1].

وحجّ بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمّد بن عمرو بن حازم، وكان عامل [عُمر على] المدينة[2].

وكان العامل على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد. وعلى الكوفة عبد الحميد، وعلى القضاء بها عامر الشّعبيّ. وكان على البصرة عديّ بن أرطأة، وعلى القضاء الحسن بن أبي الحسن البصريّ، ثمّ استعفى عديّاً فأعفاه واستقضى إياس بن معاوية. وقيل: بل شكا الحسن، فعزله عديّ، واستقضى إياساً[3].

واستعمل عمرُ بن عبد العزيز على خُراسان: الجرّاحَ بن عبد الله الحَكَميّ[4].

[الوَفَيات]

في هذه السنة مات نافع بن جُبَيْر[5] بن مُطْعِم بن عديّ بالمدينة.

ومحمود بن الربيع[6]. وُلد على عهد رسول الله ﷺ.

وأبو ظَبْيان[7] حُصَيْن[8] بن جُنْدُب الجَنْبيّ[9] والد قابوس، (ظَبيان بالظاء المعجمة).

---

(1) الطّبري ٦/٥٥٤، نهاية الأرب ٢١/٣٥٩.

(2) تاريخ خليفة ٣٢٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٨، تاريخ الطبري ٦/٥٥٤، المحبّر ٢٧، ٢٨، نهاية الأرب ٢١/٣٥٩، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٧٣، البداية والنهاية ٩/١٨٥، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، النجوم الزاهرة ١/٢٣٩ وفي العيون والحدائق ٣/٦٣: «وحج بالناس سنة ٩٩» (الخليفة عمر بن عبد العزيز)!

وفي تاريخ العظيمي ٢٠٠: وحج بالناس والي مكة عبد العزيز» وهذا وهْم.

وفي شفاء الغرام (بتحقيقنا) ج ٢/٣٤٠ إن الذي حجّ هذا العام بالناس هو سليمان بن عبد الملك! وهذا وهْم لأن سليمان كان قد توفي قبل موسم الحج.

(3) الطبري ٦/٥٥٤، نهاية الأرب ٢١/٣٥٩، وانظر عمّال عمر وقضاته في: تاريخ خليفة ٣٢٢ - ٣٢٥.

(4) تاريخ خليفة ٣٢٢، الطبري ٦/٥٥٤.

(5) انظر عن (نافع بن جبير) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٩١ - ٤٩٣ رقم ٤٢٠ وفيه مصادر ترجمته.

(6) أنظر عن (محمود بن الربيع) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٧١، ٤٧٢ رقم ٤٠٠ وفيه مصادر ترجمته.

(7) أنظر عن (أبي ظبيان) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٥٢٨، ٥٢٩ رقم ٤٦٠ وفيه مصادر ترجمته.

(8) في طبعة صادر ٥/٤٤: «أبو ظبيان بن حصين» وهذا وهْم.

(9) في طبعة صادر ضبط النسبة «الجُنْبي» بضم الجيم والنون، وهذا وهْم والصحيح ما أثبتناه بفتح الجيم وسكون النون، نسبة إلى جَنْب، قبيلة من اليمن. أنظر: اللباب ١/٢٩٤.

وفيها توفّي أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب[1] من سمّ سُقيه عند عوده من الشام، وضع عليه سليمان بن عبد الملك مَنْ سقاه، فلمّا أحسّ بذلك عاد إلى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس وهو بالحُمَيمة، فعرّفه حاله، وأعلمه أنّ الخلافة صائرة إلى ولده، وأعلمه كيف يصنع، ثمّ مات عنده.

وفي أيّام سليمان توفّي عُبيد الله بن شُرَيْح المغنّي المشهور[2]

وعبد الرحمن بن كعب بن مالك أبو الخطّاب[3].

---

(١) انظر عن (أبي هاشم عبد الله بن محمد، وهو المعروف بابن الحنفيّة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٠٥ - ٤٠٧ رقم ٣٢١ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) لم أقف على مصادر ترجمة (عبيد الله بن شريح) فيما توفّر لديّ.

(٣) أنظر عن (عبد الرحمن بن كعب) في: تاريخ خليفة ٣١٦.

١٠٠
ثم دخلت سنة مائة

ذكر خروج شَوْذب الخارجيّ

في هذه السنة خرج شَوذب، واسمه بِسطام، من بني يَشْكر، في جُوْخَى[١]، وكان في ثمانين رجلاً، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحَميد عامله بالكوفة أن لا يحرّكهم حتى يسفكوا دماءً، ويُفْسدوا في الأرض، فإن فعلوا وجّه إليهم رجلاً صليباً حازماً في جُنْدٍ.

فبعث عبدُ الحميد محمّدَ بن جَرير بن عبد الله البَجَليّ في ألفَيْن، وأمره بما كتب به عمر، وكتب عمر إلى بِسطام يسأله عن مخرجه، فقدِم كتابُ عمر عليه وقد قدِم عليه محمّد بن جرير، فقام بإزائه لا يتحرَّك[٢].

فكان في كِتاب عمر: بلغني أنّك خرجتَ غضباً لله ولرسوله، ولستَ أولى بذلك منّي، فهلُمّ إليّ أُناظرك، فإن كان الحقّ بأيدينا دخلتَ فيما دخل الناس، وإن كان في يدك نظرْنا في أمرك.

فكتب بسْطام إلى عمر: قد أنصفتَ، وقد بعثتُ إليك رجلَيْن يدارسانك ويُناظرانك. وأرسل إلى عمر مولىً لبني شيبان حبشيّاً اسمه عاصم، ورجلاً من بني يَشْكر، فقدِما على عمر بخُنَاصِرة، فدخلا إليه[٣]، فقال لهما: ما أخرجكما هذا المخرج، وما الذي نقِمْتُم؟ فقال عاصم: ما نقِمْنا سيرتك، إنّك لتتحرّى[٤] العدل والإحسان، فأخبِرْنا عن قيامك بهذا الأمر، أَعَنْ رِضىً من الناس ومشورة، أم ابتزَزْتُم أمرهم؟

فقال عمر: ما سألتُهم الولاية عليهم، ولا غلبتُهم عليها، وعهد إليّ رجلٌ كان

(١) جُوْخَى: بالضم والقصر، وقد يُفتح. اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد. (معجم البلدان ٢/ ١٧٩).
(٢) في الأوربية: «لا يحرك».
(٣) إلى هنا رواية الطبري ٦/ ٥٥٥، ٥٥٦.
(٤) في الأوربية: «لتحترى».

قبلي، فقمتُ ولم يُنْكره عليّ أحدٌ، ولم يكرهه غيركم، وأنتم تَرَوْن الرضا بكلِّ مَنْ عدل وأنصف من كان من الناس، فاتركوني[1] ذلك الرجل، فإن خالفتُ الحقّ ورغِبتُ عنه فلا طاعة لي عليكم.

قالا: بيننا وبينك أمر واحد. قال: ما هو؟ قالا: رأيناك خالفتَ أعمال أهل بيتك، وسميّتَها مظالم[2]، فإن كنتَ على هُدىً وهم على الضلالة فالعنْهم وابرأ منهم. فقال عمر: قد علمتُ أنّكم لم تخرجوا طلباً للدنيا، ولكنّكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها، إنّ الله، عزّ وجل، لم يبعث رسوله ﷺ لعّاناً، وقال إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]. وقال الله، عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4]. وقد سمّيت أعمالهم ظلماً، وكفى بذلك ذمّاً ونقصاً، وليس لعنُ أهل الذّنوب فريضة لا بدّ منها، فإن قلتم إنّها فريضة فأخبِرْني متى لعنتَ فرعونَ؟ قال: ما أذكر متى لعنتُهُ. قال: أَفَيَسَعُك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرّهم، ولا يَسَعُني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مُصَلّون صائمون! قال: أما هُمْ كُفّارٌ بظُلْمهم؟ قال: لا، لأنّ رسول الله ﷺ، دعا الناسَ إلى الإيمان، فكان مَنْ أقرّ به وبشرائعه قبل منه، فإنْ أحدث حدثاً أُقيم عليه الحَدّ.

فقال الخارجيّ: إنّ رسول الله ﷺ، دعا الناسَ إلى توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده. قال عمر: فليس أحدٌ منهم يقول: لا أعمل بسنّة رسول الله، ولكنّ القوم أسرفوا على أنفسهم على علمٍ منهم أنّه محرَّم عليهم، ولكن غلب عليهم الشّقاء. قال عاصم: فابرأ ممّا خالف عملك وردّ أحكامهم. قال عمر: أخبِراني عن أبي بكر وعمر، أليسا على حقّ؟ قالا: بلى. قال: أتعلمان أنّ أبا بكر حين قاتل أهل الرِّدّة سفك دماءهم، وسبى الذّراري، وأخذ الأموال؟ قالا: بلى. قال: أتعلمان أنّ عمر ردّ السبايا بعده إلى عشائرهم بفِدْية؟ قالا: نعم. قال: فهل برىء عمر من أبي بكر؟ قالا: لا. قال: أفتبرأون أنتم من واحدٍ منهما؟ قالا: لا. قال: فأخبِراني عن أهل النهروان وهم أسلافكم، هل تعلمان أنّ أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً، ولم يأخذوا مالاً، وأنّ مَنْ خرج إليهم من أهل البصرة قتلوا عبد الله بن خَبّاب وجاريته وهي حامل؟ قالا: نعم. قال: فهل برىء مَنْ لم يقتل ممّنْ قتل واستعرض؟ قالا: لا. قال: أفتبرأون أنتم من أحدٍ من الطائفتَيْنْ؟ (قالا: لا)[5]. قال: أَفَيَسَعُكُم أن تتولّوا أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة، وقد علمتم

---

(١) في (ر): «فانزلوني».

(٢) في (ر): «مظالمة».

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٩٠.

(٥) ما بين القوسين من (ر).

اختلاف أعمالهم، ولا يسعني إلّا البراءة من أهل بيتي والدّين واحد! فاتّقوا الله! فإنّكم جُهّال، تقبلون من الناس ما ردّ عليهم رسول الله ﷺ، وتردّون عليهم ما قبل، ويأمن عندكم مَنْ خاف عنده، ويخاف عندكم من أمِنَ عنده، فإنّكم يخاف عندكم مَنْ يشهد أنْ لا إلَهَ إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وكان مَنْ فعل ذلك عند رسول الله آمناً وحقن دمه وماله، وأنتم تقتلونه، ويأمن عندكم سائر أهل الأديان، فتحرّمون دماءهم وأموالهم.

قال اليشكُريّ: أرأيتَ رجلاً وليَ قوماً وأموالهم، فعدل فيها، ثمّ صيّرها بعده إلى رجل غير مأمون، أتراه أدّى الحقّ الذي يَلْزمه لله، عزّ وجلّ، أو تراه قد سلم؟ قال: لا. قال: أفتسلّم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك، وأنت تعرف أنّه لا يقوم فيه بالحقّ؟ قال: إنّما ولّاه غيري، والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي. قال: أفترى ذلك من صنع مَنْ ولّاه حقّاً؟ فبكى عمر وقال: أنظِراني ثلاثاً[1].

فخرجا من عنده ثمّ عادا إليه، فقال عاصم: أشهد أنّك على حقّ. فقال عمر لليشكُريّ: ما تقول أنت؟ قال: ما أحسن ما وصفتَ، ولكنّي لا أفتاتُ على المسلمين بأمر، أعرضُ عليهم ما قلتَ وأعلم ما حجّتهم.

فأما عاصم فأقام عند عمر، فأمر له عمر بالعطاء، فتوفّي بعد خمسة عشر يوماً. فكان عمر بن عبد العزيز يقول: أهلكني أمر يزيد وخُصمت فيه، فأستغفر الله.

فخاف بنو أميّة أن يخرج ما بأيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد من ولاية العهد، فوضعوا على عمر مَنْ سقاه سمّاً، فلم يلبث بعد ذلك إلّا ثلاثاً حتّى مرض ومات، ومحمّد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرّض إليهم ولا يتعرّضون إليه، كلّ منهم ينتظر عَوْد الرُسُل من عند عمر بن عبد العزيز، فتُوفّي والأمر على ذلك[2].

ذكر القبض على يزيد بن المهلّب واستعمال الجرّاح على خُراسان

قيل: وفي هذه السنة كتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن أرطأة يأمره بإنفاذ يزيد بن المهلّب إليه موثَقاً[3]، وكان عمر قد كتب إليه أن يستخلف على عمله ويُقبل إليه، فاستخلف مخلّداً ابنه، وقدِم من خُراسان ونزل واسطاً، ثمّ ركب السفن يريد

---

(١) الطبري ٥٥٦/٦، البداية والنهاية ١٨٧/٩.

(٢) الخبر بطوله اقتبسه النويري في: نهاية الأرب ٣٥٩/٢١ ـ ٣٦٣، وانظر: مروج الذهب ٢٠٠/٤ ـ ٢٠٢، والعيون والحدائق ٤٣/٣ ـ ٤٧، وسيرة عمر لابن عبد الحكم ١١٢ ـ ١١٥.

(٣) في الأوربية: «موثوقاً».

البصـرة، فبعث عديّ بن أرطـأة موسى بن الـوَجيه الحِمْيـريّ، فلحِقَه في نهـر مَعْقِل عنـد الجسر، فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فدعا به عمر، وكـان يبغضُ يزيـد وأهل بيته، ويقول: هؤلاء جبابرة ولا أُحبّ مثلهم. وكـان يزيـد يبغض عمر ويقـول: إنّه مُـراءٍ، فلمّا وليَ عمر عرف يزيد أنّه بعيدٌ من الرياء. ولمّا دعا عُمر يـزيدَ سـأله عن الأمـوال الّتي كتب بها إلى سليمان، فقال؛ كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيتَ، وإنّمـا كتبتُ إلى سليمان لأسمع الناسَ به، وقد علمتُ أنّ سليمان لم يكن ليأخذني بـه. فقال لـه: لا أجد في أمرك إلّا حبْسَك، فاتّق الله وأدِّ ما قِبَلك، فإنّها حقـوق المسلمين، ولا يسعني ترْكُهـا، وحبسه بحصن حلب(١).

وبعث الجـرّاحَ بن عبد الله الحَكَميّ، فسـرّحه إلى خُـراسـان أميـراً عليهـا، وأقبـل مُخَلّد بن يزيد من خراسان يعطي الناسَ، ففـرّق أموالاً عـظيمة، ثمّ قـدِم على عمر فقـال له: يا أمير المؤمنين، إنّ الله صنع لهـذه الأمّة بـولايتك، وقـد ابتُلينا بـك، فلا نكنْ نحن أشقى الناس بولايتك، علامَ تحبس هذا الشيخ؟ أنـا أتحمّل مـا عليه، فصـالحْني على ما تسأل. فقال عمر: لا إلّا أن يحمل(٢) الجميع. فقال: يا أمير المؤمنين إن كانت لك بيّنة فخذْ بها، وإلّا فصدّقْ مقالة يزيد واستحلفْه، فإنْ لم يفعل فصالحْه. فقال عمر: مـا آخذه إلّا بجميـع المال. فخـرج مخلّد من عنده، فقـال عمر: هـذا خيرٌ من أبيـه. ثمّ لم يلبث مخلّد إلّا قليـلاً حتّى مات(٣)، فصلّى عليـه عمر بن عبـد العزيـز، فقال: اليـوم مات فتى العربِ؛ وأنشد:

بـكّـوا حُـذَيْـفَـةَ لـم يـبـكّـوا مـثـلَـهُ حتّى تـبـيـدَ خـلائـقٌ لم تـخلق(٤)

فلمّا أبى يزيد أن يؤدّي إلى عمر شيئاً ألبسه جبّةَ صوف، وحمله على جمـل وقال: سِيروا به إلى دَهْلَك. فلمّـا خرج ومـرّوا به على النـاس أخذ يقـول: أما لي عشيـرة؟ إنّما يذهب إلى دَهْلَك الفاسقُ واللصّ. فدخل سـلامة بن نُعَيْم الخَـوْلانيّ على عمر فقـال: يا أمير المؤمنين اردُدْ يزيد إلى محبسه، فإنّي أخاف إنْ أُمضيتَـهُ أن ينتزعـه قومُـه، فإنّهم قـد عصبوا له. فردّه إلى محبسه، فبقي فيه حتّى بلغه مرض عمر(٥).

---

(١) في تاريخ الطبري ٦/٥٥٧: «فردّه إلى محبسه»، ولم يذكر أنه حبسه بحصن حلب.

(٢) الطبري: «إلا أن تحمل».

(٣) الطبري ٦/٥٥٦، ٥٥٧، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٧/٣١٢ ـ ٣١٩، والعيون والحدائق ٣/٤٩، ٥٠، والبداية والنهاية ٩/١٨٨، ووفيات الأعيان ٦/٢٩٩ و ٣٠٠.

(٤) الخبر والبيت في: مناقب عمر لابن الجوزي ٢٧٠ وهو باختلاف في ألفاظه:

بكّوا حذيفة لن تبكوا مثله حتى تبيد قبائل لم تخلق

(٥) الطبري ٦/٥٥٦ ـ ٥٥٨.

ذكر عزل الجرّاح واستعمال عبد الرحمن بن نُعَيْم القُشَيْريّ وعبد الرحمن بن عبد الله

وقيل: في هذه السنة عزل عمرُ الجرّاحَ بن عبد الله الحكميّ عن خُراسان، واستعمل عليها عبدَ الرحمن بن نُعَيْم القُشَيْريّ، وكان عزل الجرّاح في رمضان.

وكان سبب ذلك أنّ يزيدَ لمّا عُزل عن خُراسان أرسل عامل العراق عاملاً على جُرجان، فأخذ جَهْمَ بن زَحْر الجُعْفيّ، وكان على جُرجان عاملاً ليزيد بن المهلّب، فحبسه وقيّده، وحبس رهطاً قدموا معه، ثمّ خرج إلى الجرّاح بخُراسان، فأطلق أهل جُرجان عاملهم، وقال الجرّاح لجَهْم: لولا أنّك ابن عمّي لم أسوِّغك هذا. فقال جَهْم: ولولا أنّك ابن عمّي لَمْ آتِك[1].

وكان جَهْم سِلْف الجرّاح من قِبَل ابنتَي الحُصَيْن بن الحارث، وأمّا كَوْنه ابن عمّه فلأنّ الحَكَم والجُعْفيّ ابنا سعد القُشَيْريّ.

فقال له الجرّاح: خالفتَ إمامك، فاغزُ لعلّك تظفر، فيصلُح أمرُك عنده. فوجّهه إلى الخُتّل، فغنِم منهم ورجع، وأوفد الجرّاحُ إلى عمر وفداً، رجلَيْن من العرب، ورجلاً من الموالي يكنّى أبا الصيد[2]، فتكلّم العربيّان والمولى ساكت، فقال عمر: ما أنت من الوفد؟ قال: بلى. قال: فما يمنعك من الكلام؟ فقال: يا أمير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم[3] قد أسلموا من الذمّة يؤخذون بالخراج، فأميرنا عصبيّ جافٍ[4] يقوم على منبرنا فيقول: أتيتكم[5] حفيّاً[6]، وأنا اليوم عصبيّ، واللهِ لرَجلٌ من قومي أحبّ إليّ من مائة من غيرهم. وهو بَعْدُ[7] سيف من سيوف الحجّاج، قد عمل بالظلم والعدوان. قال عمر: إذن بمثلك يوفد.

فكتب عمر إلى الجرّاح: انظرْ مَنْ صلّى قِبَلك [إلى القِبلة]، فضعْ عنه الجزية. فسارع الناسُ إلى الإسلام، فقيل للجرّاح: إنّ الناس قد سارعوا إلى الإسلام نفوراً من الجزية، فامتحنْهم بالخِتان. فكتب الجرّاح بذلك إلى عمر، فكتب عمر إليه: إنّ الله بعث

---

(١) في الأوربية: «لأماتك».
(٢) الطبري ٦/٥٥٩: «أبا الصيداء».
(٣) في الأوربية: وصلهم.
(٤) في الأوربية: خاف.
(٥) في (ب): «أيتكلم».
(٦) في الأوربية: خفيّاً.
(٧) في الأوربية: يُعَدّ.

محمّداً ﷺ، داعياً ولم يبعثْه خاتناً، وقال: إيتوني رجلاً صدوقاً أسأله عن خُراسان. فقيل له: عليك بأبي مِجْلَز. فكتب إلى الجرّاح: أن أقْبِلْ واحملْ أبا مِجْلَز، وخلّفْ على حرب خُراسان عبدَ الرحمن بن نُعَيْم العامريّ. فخطب الجرّاحُ وقال: يا أهل خُراسان جئْتُكم في ثيابي هذه الّتي عليّ وعلى فَرَسي، لم أُصبْ من مالكم إلاّ حليةَ سيفي. ولم يكن عنده إلاّ فرس وبغلة. فسار عنهم، فلمّا قدم على عمر قال: متى خرجتَ؟ قال: في شهر رمضان. قال: صدق مَنْ وصفك بالجفاء، هلاّ أقمتَ حتّى تُفْطر، ثمّ تخرج[1]!.

وكان الجرّاح كتب إلى عمر: إنّي قدِمتُ خراسانَ، فوجدتُ قوماً قد أبطرتْهم الفتنةُ، فأحبّ الأمور إليهم أن يعودوا ليمنعوا حقّ الله عليهم، فليس يكفّهم إلاّ السيف والسَّوْط، فكرهتُ الإقدام على ذلك إلاّ بإذنك. فكتب إليه عمر: يا ابن أمّ الجرّاح، أنت أحْرَصُ على الفتنة منهم، لا تضربنّ مؤمناً ولا معاهداً سَوْطاً إلا في الحقّ، واحْذَرِ القصاص، فإنّك صائر إلى مَنْ يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وتقرأ كتاباً: ﴿**لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاّ أَحْصَاهَا**﴾[2].

فلمّا قدِم الجرّاحُ على عمر، وقدِم أبو مِجْلَز، قال له عمر: أخبِرْني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: يكافي الأكفاء، ويُعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويَقْدَم إن وجد مَنْ يساعده. قال: فعبد الرحمن بن نُعيم؟ قال: يحبّ العافية والتأنّي[3]، وهو أحبّ إليّ. فولاّه الصلاة والحرب، وولّى عبد الرحمن القُشَيْريّ الخراجَ، وكتب إلى أهل خُراسان: إنّي استعملتُ عبد الرحمن على حربكم، وعبد الرحمن [بن عبد الله] على خراجكم، وكتب إليهما يأمرهما بالمعروف والإحسان.

فلم يزل عبد الرحمن بن نُعَيْم على خُراسان حتّى مات عمر، وبعد ذلك حتّى قُتل يزيد بن المهلّب. ووجّه مَسْلمةُ سعيدَ[4] بنَ عبد العزيز الحارثَ بن الحَكَم، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف[5].

ذكر ابتداء الدعوة العبّاسية

في هذه السنة وجّه محمّد بن عليّ[6] بن عبد الله بن عبّاس الدُّعاة في الآفاق.

---

(١) الطبري ٦/٥٥٨ - ٥٦٠.

(٢) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٣) في الأوربية: «وتأنّى».

(٤) «سعيد» ساقط من طبعة صادر ٥/٥٢، وأثبتناه نقلاً عن النسخة (ر)، والطبري ٦/٥٦٢.

(٥) الطبري ٦/٥٦٠ - ٥٦٢.

(٦) في الأصل زيادة: «بن محمد»، وهو وهْم.

وكان سبب ذلك أنّ محمّداً كان ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام، فسار أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفيّة إلى الشام إلى سليمان بن عبد الملك، فاجتمع به محمّد بن عليّ، فأحسن صُحْبته، واجتمع أبو هاشم بسليمان وأكرمه وقضى حوائجه، ورأى مِن علمه وفصاحته ما حسده عليه وخافه، فوضع عليه مَنْ وقف على طريقه فسمّه في لبن.

فلمّا أحسّ أبو هاشم بالشرّ قصد الحُمَيْمة من أرض الشراة، وبها محمّد، فنزل عليه وأعلمه أنّ هذا الأمر صائرٌ إلى ولده، وعرّفه ما يعمل، وكان أبو هاشم قد أعلم شيعته من أهل خُراسان والعراق عند تردّدهم إليه أنّ الأمر صائرٌ إلى ولد محمّد بن عليّ، وأمرهم بقصده بعده.

فلمّا مات أبو هاشم قصدوا محمّداً وبايعوه، وعادوا فدعوا الناس إليه، فأجابوهم، وكان الذين سيّرهم إلى الآفاق جماعةً، فوجّه مَيْسرة إلى العراق، ووجّه محمّد بن خُنَيْس، وأبا عِكْرِمة السرّاج، وهو أبو محمّد الصادق، وحيّان العطّار، خالَ إبراهيم بن سَلِمة، إلى خُراسان، وعليها الجرّاح الحَكَميّ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته. فلقوا مَنْ لقوا. ثمّ انصرفوا بكُتُب مَنْ استجاب لهم إلى محمّد بن عليّ، فدفعوها إلى مَيْسرة، فبعث بها ميسرة إلى محمّد بنِ عليّ بن عبد الله بن عبّاس، فاختار أبو محمّد الصادق لمحمّد بن عليّ اثني عشر رجلاً نُقباء، ومنهم: سليمان بن كَثير الخُزاعيّ، ولاهز بن قُرَيْظ التميميّ، وقَحْطَبة بن شَبيب الطائيّ، وموسى بن كعب التميميّ، وخالد بن إبراهيم أبو[1] داود من بني شيبان بن ذُهْل، والقاسم بن مُجاشع التميميّ، وعِمران بن إسماعيل[2] أبو النجم مولى آل أبي مُعَيْط، ومالك بن الهَيْثم الخُزاعيّ، وطلحة بن زُرَيْق[3] الخُزاعيّ، وعَمْرو بن أَعْيَن أبو حمزة مولى خُزاعة، وشِبْل بن طَهْمان أبو عليّ الهرويّ مولىً لبني حنيفة، وعيسى بن أَعْيَن مولى خُزَاعة. واختار سبعين رجلاً، وكتب إليهم محمّد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها[4].

(الحُمَيْمة: بضمّ الحاء المهملة. والشراة: بالشين المعجمة[5]).

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أمر عمر بن عبد العزيز أهل طُرَنْدَة بالقُفُول عنها إلى مَلَطْية، وطُرَنْدة

---

(١) في (ر): «وأبو».

(٢) في (ب): «عبيل و».

(٣) الطبري ٥٦٢/٦: «رُزيق».

(٤) الطبري ٥٦٢/٦، البداية والنهاية ١٨٩/٩.

(٥) ما بين القوسين من (ر).

واغلة[1] في البلاد الروميّة من مَلَطْيَة بثلاث مراحل، وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاثٍ وثمانين، ومَلَطْية يومئذٍ خراب، وكان يأتيهم جُنْدٌ من الجزيرة يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج، ويعودون إلى بلادهم، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر، فأمرهم بالعَوْد إلى مَلَطْية، وأخلى طُرَنْدَة خوفاً على المسلمين من العدوّ، وأخرب طُرَنْدَة، واستعمل على مَلَطْية جَعْوَنَة بن الحارث أحد بني عامر بن صَعْصَعَة[2].

وفيها كتب عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملّكهم بلادهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وقد كانت سيرته بَلَغَتْهم، فأسلم جيشبه بن ذاهر، والملوك تسمّوا له بأسماء العرب، وكان عمر قد استعمل على ذلك الثغر عَمْرو بن مسلم أخا قُتَيْبَة بن مسلم، فغزا بعض الهند، فظفر وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم أيّام عمر ويزيد بن عبد الملك، فلمّا كان أيّام هشام ارتدّوا عن الإسلام، وكان سببه ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها أغزى عمرُ بنُ عبد العزيز الوليدَ بن هشام المُعَيْطيّ، وعَمْرو بن قَيس الكِنْديّ الصائفة[3].

وفيها استعمل عمرُ بن عبد العزيز عمرَ بن هُبَيْرة الفزاريّ على الجزيرة عاملاً عليها[4].

* * *

وحجّ بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمّد بن عَمْرو[5].

وكان العمّال مَنْ تقدّم ذكرهم إلاّ عامل خُراسان. وكان على حربها عبد الرحمن ابن نُعَيْم، وعلى خراجها عبد الرحمن بن عبد الله في آخرها[6].

(وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز إسماعيل بن عبد الله مولى بني مَخْزوم على

---

(1) في الأصل: «أوغل»، وكذا في نهاية الأرب ٢١/٣٦٣.
(2) فتوح البلدان ٢٢١ رقم ٤٩١، نهاية الأرب ٢١/٣٦٤، النجوم الزاهرة ١/٢٤٢.
(3) البداية والنهاية ٩/١٨٨، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٧٦، النجوم الزاهرة ١/٢٤٢.
(4) نهاية الأرب ٢١/٣٦٤، البداية والنهاية ٩/١٨٨.
(5) المحبّر ٢٧، تاريخ خليفة ٣٢١. تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٨، تاريخ الطبري ٦/٥٦٣، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ٢٠١، نهاية الأرب ٢١/٣٦٤، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٢٧٦، البداية والنهاية ٩/١٨٩.
(6) الطبري ٦/٥٦٣.

إفريقية، واستعمل السَّمح[1] بن مالك الخَوْلانيّ على الأندلس، وكان قد رأى منه أمانةً وديانةً عند الوليد بن عبد الملك فاستعمله)[2].

* * *

[الوَفَيات]

في هذه السنة مات أبو الطُّفَيْل عامر بن واثلة[3] بمكّة، وهو آخر من مات من الصّحابة. وفيها مات شهر بن حَوشب[4]، (وقيل: سنة اثنتَيْ عشرة ومائة.

وفيها مات شهر بن حَوشب[4]، (وقيل: سنة اثنتَيْ عشرة ومائة.

وفيها توفّي القاسم بن مُخَيْمرة الهمدانيّ[5].

وفيها توفّي مسلم بن يسار[6] الفقيه)[7]، وقيل: سنة إحدى ومائة.

وفيها توفّي أبو أُمامة أسْعد بن سهل[8] بن حُنَيْف، وكان وُلد على عهد النبي ﷺ فسمّاه وكنّاه بجدّه لأمّه أبي أُمامة أسعد بن زُرارة، وكان قد مات قبل بدر.

وفيها توفّي بُسْر بن سعيد[9] مولى الحضرميّين، (بُسر: بضم الباء الموحدّة، وبالسّين المهملة).

وعيسى بن طلحة بن عبد الله التَّيمي[10].

---

(١) في الأصل: «السمج».

(٢) ما بين القوسين من (ب).

(٣) أنظر عن (أبي الطفيل عامر) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٥٢٦ - ٥٢٨ رقم ٤٦٨ وفيه مصادر الترجمة.

(٤) أنظر عن (شهر بن حوشب) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٨٥ - ٣٨٨ رقم ٢٨٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (القاسم بن مخيمرة) في: تاريخ الإسلام (١٠١ - ١٢٠ هـ). ص ٤٥١ - ٤٥٣ رقم ٥٣٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) أنظر عن (مسلم بن يسار) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٧٥ - ٤٧٨ رقم ٤٠٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) ما بين القوسين من (ب).

(٨) أنظر عن (أبي أمامة أسعد) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٥١٠، ٥١١ رقم ٤٤٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) في طبعة صادر ٥/٥٥: «سعد» وهو غلط. والصواب ما أثبتناه عن مصادر ترجمته التي حشدناها في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٠٢.

(١٠) أنظر عن (عيسى بن طلحة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٤٨، ٤٤٩ رقم ٣٦٩، وفيه مصادر ترجمته.

ومحمّد بن جُبَيْر بن مُطْعِم [1] .

ورِبْعيّ بن حِراش الكوفي [2] ، (حِراش: بكسر الحاء المهملة، وبالراء المهملة)، وقيل:

وحَنَش بن عبد الله [3] الصَّنَعانيّ [4] ، كان من أصحاب عليّ، فلمّا قُتل انتقل إلى مصر، وهو أوّل مَنْ اختطّ جامع سَرَقُسْطة بالأندلس.

(حَنَش: بالحاء المهملة والنُّون المفتوحتَيْن، والشين المعجمة).

---

(١) أنظر عن (محمد بن جبير) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٤٦٦، ٤٦٧ رقم ٣٩١ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (ربعي بن حراش) في: تاريخ الإسلام (١٠٠ - ١٢٠ هـ). ص ٧٩، ٨٠ رقم ٦٢ وفيه مصادر ترجمته، وقد اختلف في وفاته.

(٣) أنظر عن (حنش بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ). ص ٣٣٩، ٣٤٠ رقم ٢٤٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «الصغاني» وهو تصحيف.